

# فاتناريا حب في أنطس

Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

و. محمد علي التوفيق





## مقدمة

( عبير عبد الرحمن ) هي إنسانة عادية إلى حد غير مسبوق .. إلى حد يخطف الأبصار .. إنها الشخص الذى نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا .. الشخص الذى لا يتفوق فى الجمال أو القوة أو البراعة أو الفناء .. لكن لا بد من شيء ما يميزها وإلا لعاشت وماتت دون أن نسمع عنها .. ثمة أبطال قصص يمتازون بالقوة .. ثمة أبطال يمتازون بالفناء الخارق .. ثمة أبطال يمتازون بالحظ العاثر .. ثمة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشيء .. ويبدو أن ( عبير ) من هذه الفئة الأخيرة ..

فى نقطة واحدة تفوقت ( عبير ) علينا .. إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط ، وتملك فكرة عن أكثر العوالم الخيالية التى أبدعتها قريحة الأدياء والفنانين والسينمائيين ومصممي الألعاب ، كما أنها امتلكت تلك الجهاز الغريب الذى يولد الأحلام ، والذى لا يصلح إلا لها فى الواقع ، وبهذا غدت أول مخلوق بشرى يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة ، بل يشارك فيها كذلك .. ومن البديهي أن ( عبير ) صارت تنتمى لـ ( فانتازيا ) أكثر مما تنتمى لعالمنا .. وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منفصات تتخلل فترات الحلم الأكبر الدائم فى ( فانتازيا ) ..

إن ( عبير ) كريمة النفس ، لهذا لن نتركها هنا ونحن مع واقع لا يتغير .. سوف تصبحنا معها .. سوف نعبّر معها عالم المرأة الساحر مثلما فعلت ( أليس ) يوماً ما .. سوف تقابل - ونحن معها - العبقري المخيف ( نستويفسكى ) وتجلس فى مجلس واحد مع ( أرشميدس ) و ( الخوارزمي ) و ( أينشتاين ) .. سوف يشرح لها ( فرويد ) نظرياته وهو يدخن غليونته الذى أصابه بالسرطان .. سوف تمشى مع ( أفلاطون ) فى بستان مدرسته .. ستحلق مع ( طرزان ) فوق قمم الأشجار السامقة ، وتثب مع الرجل العكبوت من فوق ناطحات السحاب .. ربما تخدعها الساحرة الشريرة كي تلتهم للتفاحة ، أو تهدد المفصلة عنقها ، ولربما تضع قدميها على تربة المريخ الحمراء ، أو تغطس فى كرة أعماق الدكتور ( بيب ) .. ربما تفتح قبر ( توت عنخ آمون ) أو تحارب جحافل المغول ..

إنها ( فانتازيا ) حيث القواعد الوحيدة للعبة هي : لا قواعد .. وحيث الحدود الوحيدة لرقعة الخيال هي : لا حدود ..

إن جرس المحطة يدق ، والبخار يتصاعد من مدخنة القطار .. والعرشد الملول الذى يرشدها فى أنحاء ( فانتازيا ) يقف نافذ الصبر على باب القطار .. فلنتخذ مقاعدنا بسرعة ..

لقد حان موعد قصة أخرى .....



## الجزء الأول

### العشاق

« نعم .. نعم .. أنا كنت عاشقاً يوماً ما .. لن أندesh لو أنك وثبت في نهر ( أوتا ) .. إن هاتين الغمازتين قادرتان على تغيير الكون ذاته ، وعلى ترويض الشياطين فوق ( فوجي ياما ) .. »

★ ★ ★

## ١ - مغامرة أخرى ..

وقطار ( فانتازيا ) المضحك يتأرجح في رحلته المعهودة .. لا تعرف ( عبير ) لماذا لم تعد إلى عالمها بعد ، ولماذا تعيش ثلاث مغامرات بشكل متصل .. لا تجسر على أن تقول إن هذا مرهق ، أو ظلم أو أكثر من اللازم .. إنها تتسلى بعد كل شيء ..

وخطر لها أنها جربت ذات التجربة مرة من قبل .. تجربة عدم العودة ..

قال لها ( المرشد ) وهو يضغط على القلم :

- « لا داعي للقلق .. أنت تعرفين قواعد ( فانتازيا ) .. لا بد أن سباتك تحت الجهاز لم يستغرق أكثر من ساعتين .. »

- « وما تفسير هذه الظاهرة ؟ »

عط شفته السفلى وقال :

- « كيف لي أن أعرف ؟ هذه الأشياء تحدث .. ربما كنت بحاجة إلى جرعة أكبر من اللازم من الفرار من الواقع .. »

فكرت قليلاً وراحت تنسق خصلات شعرها المنكوشة كما هي دوماً وقالت :

- « حسن .. أحياناً أشعر بالذنب لفرارى إلى (فاتناريا) ..  
لا أرتكب إنمّا لكن الفرار في حد ذاته مهيّن .. »

قال لها باسمًا والشمس تؤذى عينيه ، فيرخى ستار النافذة قليلاً :

- « لنقل إن تركيبك للنفسى فريد من نوعه .. أنت غير قادرة على مواجهة عالمك بأى شكل من الأشكال .. كلّك كلن فضلى هبط على الأرض شاعراً بالعجز عن التكيف .. الكل يطالبه بالتكيف .. الحقيقة هي أنه لن يتكيف أبداً .. سيظل مشتاقاً إلى الكوكب الذى جاء منه حيث يتنفسون النتروجين ويأكلون الديوتيريوم .. كوكبك الذى جنت منه هو (فاتناريا) .. إليه ننتمين وتشعرين نحوه بالانتماء والولاء بلا حد .. »

تهبت وقالت فى صبر :

- « أنت لخصت الموقف .. والآن إلى أين ؟ »

نظر من النافذة - بعدما أزاح الستار - وقال :

- « أنت من تختارين .. إن أحلامك أوامر .. »

من بعيد تهبط الصواعق فوق قلعة الدكتور (فرانكنشتاين) فى أثناء تجربته الرهيبية .. (راغب نمين) بطل قصة (العنكبوت)

يحاول إجراء تجاربه المخيفة على الجسم الصنوبرى حيث يكمن وجداننا الجمعى .. الرجل العنكبوت يتوالت فوق الأسطح بينما (هارى بوتتر Pootter) يجرب حظه فى رياضة (الكويديتش) .. (سارة) للمراوغة التى تحوى شخصية ألف امرأة تتلاعب بـ (همام) فى رواية (العقاد) المعقدة الكثيفة .. (هندى) تتلقى حلقها .. (نسرين الجبلى) الصحفية الشابة تتركب سيارتها إلى (المقطم) فى مهمة غامضة .. ومن بعيد الجزيرة الطائرة (لابوتا) التى استضافت (جوليفر Gulliver) تحلق أمام قرص الشمس لتخجبه عن بعض الشعوب المطلوب عقابها .. ألف احتمال واحتمال .. احتمالات متعددة إلى درجة أن الأمر عسير ...

قالت له وهى تلصق وجهها بالنافذة :

- « الأمر صعب يا (مرشد) .. »

قال لها فى لامبالاة :

- « هناك تقنية راقية اسمها (حادى يادى) .. يمكن استعمالها .. فقط غطى عينيك .. هذا سيجعل المرح عاماً .. »

نفذت ما يقول متجاهلة سخريته ، وراحت تردد بلهجة طفولية كما كان الأطفال يلعبون فى الصغر .. وفى خبث وبلهجة منتصرة هتفت :



- « ما خدش إلابى ! »

وفتحت عينيها فوجدت منظرًا مخيفًا للآمال إلى حد ما ..

بلدة عافية جدًا .. مبان نظيفة .. حدائق .. لاشيء يوحى بأى شيء ..

قالت له وهي تشعر بالذنب :

- « ما هذا ؟ تبدو لى قصة غير مشجعة .. »

قال لها وهو يتفقد للدليل فى يده :

- « آه .. إن طابع هذه القصة هو الرومانسية .. الكثير منها فى الواقع .. هناك شهقات ودموع وفراق وخطبات مبللة بالدمع حتى صارت لا تقرأ إن كنت قد أحسنت فهم المكتوب هنا .. هل تحبين هذه الأشياء ؟ »

قالت مفكرة :

- « أحبها لكنى لم أجربها قط لو كنت تفهم ما أعنيه .. إن لى قدرًا هائلًا من الرومانسية لم يستعمل قط حتى صدى .. يشبه الأمر سيفًا كنت تعده لحرب لا هواة فيها ، ثم مررت الأعوام والسيف لم يغادر قرابه ، وصرت تتساءل : هل حقًا لديك سيف ؟ وهل حقًا يمكنك استعماله ؟ لقد تزوجت

دون رومانسية وأنجبت دون رومانسية وفارقت دون رومانسية .. »

نظر لها فى ضيق وقال :

- « لو كنت ستمضين اليوم فى الاستمتاع بالثراء لذاتك ، فإننى أرجو أن تخبرينى متى تنتهين .. »

- « لا داعى .. فلنكمل حوارنا .. »

- « هل ترغبين فى تجربة هذه القصة الرومانسية ؟ »

- « أحب .. سيكون هذا نوعًا من التجديد .. ولكن ما هى خلفياتى ؟ »

مط شفته السفلى كالعادة ، وقال وهو يدس قلمه فى جيبه :

- « لا يوجد الكثير .. المدرسة الشابة (متشيكو زاكو) .. هل هذا كاف ؟ »

أعادت نطق الاسم بصعوبة ، وقالت :

- « (متشيكو ..) .. ألم تجد اسمًا أكثر تعقيدًا وثقلًا على اللسان ؟ »

- « نعم .. لم أجد .. إن مسمعه يختلف بالنسبة لأذن يابانية ..

ثقى فيه ما من يابانى سيروق له اسم (عبير عبد الرحمن) مهما كان متفتح الفكر .. »

« يابتي ؟ إذن أنا ؟ »

« نعم .. يابتي .. هذا كاف .. والآن إلى اللقاء .. »

وجذب حبل القطار فتوقف بشكل مفاجئ ، حتى إنها  
قذفت إلى الأمام .. وحين أفاق وجدت أنها تقف في  
الخارج ، وأنها ترتدي ثياباً رقيقة ههههه أقل ما يقال عنها  
هو أنها ثياب مدرسة يابتي ..

لقد بدأت القصة فجأة ...

\*\*\*

## ٢ - إنه أغسطس ..

إنه ( أغسطس ) ..

إنه ( أغسطس ) لكنه ( أغسطس ) آخر يختلف عن  
( أغسطسنا ) الحار الرطب ، حيث يلتصق جلدك بالقميص  
بفعل صمغ كريبه هو العرق .. حين تفرق روحك ذاتها في  
العرق .. الحقيقة أن الطقس جميل بالفعل .. هذه البلدة الصغيرة  
ساحلية وقرب خليج .. ويبدو أن هواء البحر العائث الخبيث  
لا يرحم العواطف هنا ..

ما أجمل أن توجد وأن تملأ المكان والزمان .. ما أجمل  
أن تكون هناك لحظة قادمة ، وما أروع أن تكون هناك لحظة  
ماضية .. لحظة قادمة تفعمك بالأمل .. ولحظة ماضية تفعمك  
بالحنين ..

كل هذا الطرب في روحها ، وكل هذا الجنل يرهقها بحق ..  
تفلق فاما بإحكام كي لا يشب قلبها منه ..

منذ متى كنت في العالم كل هذه الورد ؟ منذ متى كنت في  
الجو هذه الروائح مجتمعة ؟ منذ متى تعزف الطيور  
( رابودي ) كاملة ؟ حواسك عادت إلى حالتها الطفولية الأولى



كما خلقها الله ، قبل أن يفسد التلوث أنفك ، وتفسد  
الضوضاء أذنك ، وتتلف الدموع عينيك .. ثمة منديل كوني  
مسح كل البقع على زجاج روحك فعدت ترين الأشياء كما  
كان ينبغي أن تريها ..

تالله أنت عاشقة أيتها البلهاء الصغيرة ! لا يوجد تفسير  
آخر ..

\*\*\*

لماذا يبدو قلبي بهذه الخفة ؟ لماذا تبدو النجوم بهذا التالق ؟  
لماذا تبدو السماء بهذه الزرقة ...  
منذ الساعة التي قابلتك فيها ؟  
أعرف لماذا تهتسم الدنيا بهذه الرقة البالغة ..  
إنها تردد تلك القصة القديمة الخالدة عبر الأبدية ذاتها ..  
أيها الحب .. هذه أغنيتي لك ..  
( أغنية قديمة من كلمات وتلحين شارلى شايلن<sup>١\*</sup> )

\*\*\*

( \* ) نعم .. لا خطأ هنا .. ( شارلى شايلن ) كاتب وملحن موهوب ، وكان يكتب  
الموسيقى المصاحبة لكل أفلامه ، ومن أشهر أعماله بالنسبة للفرنسية وللأغنية العربية فتتلحبة أغنية  
( لعمري لعشاق ) التي لم ينكر الموسيقر ( عبد الوهاب ) أنه نقلها من موسيقا  
فيلم ( البحث عن ذهب ) .

اسمها ( متشيكو زاكو ) ..

رقيقة كالزهرة .. دقيقة كالزهرة .. أنيقة كالزهرة ..

لها صغيرة سوداء طويلة ناعمة على ظهرها ، وترتدى تنورة  
طويلة يمكن أن تكتس الأرض أحياناً ..

لها غمازتان لا تظهران إلا حين تضحك ، وهكذا يمكن أن  
نعرف أن أحداً لم يرها إلا بغمازتين ..

مدرسة أطفال هي .. وهنا نعرف حقيقة غريبة .. يبدو أن  
مدارس اليابان أو هذه البلدة بالذات تعمل في ( أغسطس ) ..  
خير مدرسات الأطفال هي من تملك كل صفات الطفولة ، وقد كانت  
هي طفلة كبيرة لهذا كانوا ينادونها بلا تحفظ ( متشيكو ) ..

تمشي في الشارع متجهة إلى المدرسة .. لكل يعرفها .. لكل  
يحبها ..

باع البطيخ العجوز - الذي وقف يرص شرائحه الحمراء  
التي يكفى مرآها ليطفئ ظمأك - يصيح من بعيد :

- « صباح الخير يا ( متشيكو ) الحسناء ! »

فتصيح بدورها وهي تجد السير في الشارع :

- « صباح جميل يا ( نوجوشا سان ) .. »



« أجمل من وجهك يا (متشيكو) ؟ مستحيل .. يا للشيطان !  
مستحيل .. مستحيل .. »

ويسعل ويبصق معبراً عن اتبهاره بها ..

وبائعة الزلابية الحسناء تصيح فيها :

« هل تذوقين الزلابية يا (متشيكو) الحسناء ؟؟ »

« هل هي لذیذة اليوم يا (كوتيكو) ؟ »

« أأذ من وجهك ؟ أشهى من غمازتيك ؟ مستحيل ! »

فتضحك وتواصل السير .. إن خطواتها خفيفة جداً كأن  
جسدها لا يطبق انتظار انعكاسات العضلات وأوامر الأعصاب ..  
تبدو هذه الأمور بطيئة جداً بالنسبة لروحها الوثابة ..

ولكن .. ما أجمل الطبيعة ! هذه البلاد تبدو كلها نوعاً من  
النقوش اليابانية على بساط أو طبق خزفي .. ذات الشعور الذي  
تشعر به كلما رأت منظرًا فوتوغرافيًا من الصين .. كأن الطبيعة  
هنا مصممة على أن تتخذ الطراز الصيني أو الياباني .. حتى  
الطيور لا تبدو بمظهرها المعتاد .. إنها طيور زخرفية جداً ..  
الأشجار شبه مرسومة .. وكذا قمم الجبال من بعيد .. إما  
أن الطبيعة تقلد الفنان كما قال ( أوسكار وايلد Wilde ) وإما

أن هؤلاء القوم لم يتعبوا في صنع الطراز الذي ألفناه في  
فنونهم .. هم فقط نقلوا طبيعتهم نقل مسطرة .

وتدخل إلى المدرسة فتقبلها المنيرة العجوز ذات الشعر الأبيض ..  
إنها تقليدية جداً تعص شعراً بشكل يوشك معه فمها أن يكون  
في جبهتها .. وتلف شالاً على خصرها .. تقول لها بصوت  
كصوت لرجل المصابين بسرطان الحنجرة ، وهي تتحنى محبة :

« تأخرت يا (متشيكو) .. هل رحت تطاردين الفراش  
كدأبك ؟ »

« بل جمعت بعض الورود .. أسفة يا سيدة (كنتاروا) ؟ »  
ثم تقدم باقة الزهور للسيدة .. فتشمها في حزم .. ثم يفلت  
ذلك الغشاء الرقيق من الصرامة الذي كانت تتخفى وراءه  
فتضحك في مرح ، فلا أحد يستطيع أن يغضب بحق من  
(متشيكو) إلا إذا استطعت أن تغضب بحق من قط صغير  
يعبث في حذائك .. وتأخذ الزهور إلى غرفتها بينما تجتاز  
(متشيكو) الجدار الورقي الذي يفصلها عن الصف ..

الأطفال يجلسون على الأرض إلى تلك المنضدة الطويلة التي  
وضعت عليها عدة مزهريات .. أمامهم ألواح كتبية وقصص أطفال  
منتشرة هنا وهناك .. وعلى الجدار صورة عملاقة للإمبراطور ..



قالت لهم وهي تجلس على الأرض في الوضع المنتصب  
الياباني الشهير :

- « اليوم سأخبركم عن أجمل شيء في العالم .. »

- « ما هو يا ( متشيكو ) ؟ »

- « خمنوا .. »

قالت طفلة تبدو كدمية يابانية ضيقة العينين :

- « الأراب البيضاء .. »

- « لا .. هناك ما هو أجمل .. »

قال طفل ( ملظظ ) بشدة :

- « فطائر السمك .. »

- « لا .. »

طفل ثالث :

- « بيت الجدة .. »

- « لا .. »

- « إذن ما هو يا ( متشيكو ) ؟ »

قالت وهي تنظر إلى العالم حيث بدا من النافذة :

- « إته .. إته ( أغسطس ) .. »

\*\*\*

اسمها ( متشيكو زاكو ) ..

رقيقة كالزهرة .. دقيقة كالزهرة .. أنيقة كالزهرة ..  
وهي غارقة في الحب حتى الآنين ..

لماذا هو بالذات ؟ لا تدري .. ربما لأنه خجول .. ربما  
للطريقة التي يعيد بها تثبيت عيوناته المذهبة على أنفه ..  
ربما لتلك الطريقة التي تسقط فيها خصلات الشعر الأسود  
على عينه حين ينهمك في عمل ما .. ربما لأنه يقدسها  
وهي تحب الرجل الذي يهاب المرأة نوعاً .. تعقت الرجل الذي  
يظهر لها استهتاره ولا مبالاة باعتبارها ستقع في حباله  
على الفور .. إن ( توشيو موكزا ) يتعامل مع المرأة باعتبارها  
كائنًا ساميًا جدًا .. بعيدًا جدًا .. أسطوريًا جدًا .. لا شيء من  
عبراتها يجب أن يسيل ليمتزج بالتراب .. لا شيء من  
أحلامها يجب أن يحلق كالدخان ويتلاشى في الهواء ..  
لا شيء من أوامرها يمكن أن تصفى له وتهز كتفك ..

أمس كنا يمشيان جوار المصرف .. مصرف ( زديوتومو )



حيث اعتادا أن يمشيا يومياً عند الظهيرة ، وهو ذلك المثلث الشهير في المدينة : مصرف ( زديوتومو ) ومبنى إدارة الغاز ومبنى ( فوكوزايماي ) .. كان الحارس يجلس على باب المصرف يراقب الطريق في شك ، وكل شيء في عينيه يوحى بالويل ..

نظرت هي عبر سياج المصرف وشهقت .. إن الحديقة أمام عينيها وقد خيل لها - الحديقة - أنها أول من اكتشف الألوان في العالم .. كأنها طفل وجد أمامه عبة ألوان للمرة الأولى فراح يستعمل كل شيء بفراط وبذخ وبلا اقتصاد أو تكلف .. الأحمر بأشد درجاته والأزرق كما يجب أن يكون ، والأخضر بكل ظلاله .. وكانت تلك الفراشة تخلق .. ليس غريباً أنه في الطبيعة لا توجد ألوان غير متناسقة ؟ اجعل رجلاً يلبس البنّي مع الأزرق والأحمر والأصفر واسوف تجد أمامك مهرجاً ، بينما الطبيعة تعرف بالضبط درجات الألوان الصحيحة التي تريدها ثقة ..

هذه الفراشة هنا لأنها شعرت بأنها تضيف لمسة لا بد منها إلى المشهد .. وكانت أغرب فراشة رأتها في حياتها ..

- « توشيو » ! ما أروعها فراشة ! »

هذا ما قالت وأقسم بالله العظيم .. لم تطلب شيئاً على الإطلاق .. وفي اللحظة التالية وجدت ( توشيو ) يتسلق سياج المصرف ليثب بوثبة واحدة إلى الداخل ، ويركض وراء الفراشة .. يتعثر وينهض ..

صاحت في جزع وهي تتشبث بالسياج :

- « عد يا ( توشيو موكازا ) ! إن الله ... »

كان قد سقط فوق العشب ، وهو يمسك بالفراشة في يده وهي تهز جناحيها محاولة التملص ..

قبض عليها ، وفي اللحظة التالية قبض الحارس عليه ..

- « أنت تتعدى على أملاك الدولة أيها الشاب المحترم .. أي أنك تتعدى على أرض الإمبراطور ! »

قال الفتى وهو يحاول التملص :

- « إنها فراشة أيها الحارس المحترم .. فراشة لا أكثر .. لست نصاً ولا سفاحاً .. »

نظر له الحارس وهو يقتلده إلى خارج السور .. ونظر لها .. ثم نظر له .. وفجأة شقت الضحكة مجراها وسط ملامحه الصارمة ، وقال :



- « ولكن .. لا ألومك يا بنى .. أنت عاشق .. »

وأطلق سراحه وهو يغمغم :

- « نعم . نعم .. أنا كنت عاشقا يوما ما . لن أندesh لو أنك وثبت في نهر ( أوتا ) .. إن هاتين الغمازتين قادرتان على تغيير الكون ذاته ، وعلى ترويض الشياطين فوقى ( فوجى يلما ) .. »

وبنطلق الفتى بغيمته إلى جوار ذات الغمازتين .. تتأمل الفراشة الساحرة في يده غير مصدقة .. لكنهما ليسا سعيدين . ثمة شيء بدأ يخيم عليهما ، وجعل الغمازتين تتلاشيان .

فجأة قالت له :

- « ( توشيمو ) .. أنت تعرف ما أفكر فيه .. »

- « هو نفس ما أفكر فيه .. »

- « إذن افعله الآن .. »

ومن دون كلمة أخرى فتح كفه فتطنقت للفراشة غير مصدقة بالإنجاة . دارت حولهما دورة ثم أخرى .. كأنما تشكرهما على لطفهما ، ثم ابتعدت ..

وانفجرا يضحكان ..

\*\*\*

يا عود النعنع .. لا تفرغ !

خطوة محبوبى كالنسيمة ..

لن تسحق رأسك .. والبسمة ..

لا أبدع منها . لا أروع !

يا عود النعنع هل تمنح تلك النجمة ؟

يا عود النعنع هل تسمح وقع النسيمة ؟

موعدا حين فلا تفرغ .

لا تفرغ .. يا عود النعنع !

( عادل قره شولى - شاعر مهن )

\*\*\*

اسمها ( متشيكو زكو ) ..

رقيقة كالزهرة .. دقيقة كالزهرة . ايفة كالزهرة ..

والمشاكل كانت على الأبواب

\*\*\*



وكانت تؤمن بالفل .. إن حروف اسميهما بالغة التقارب ،  
وهذا يعنى أنهما سينسجمان بلا شك ..

قال لها ما قل فى الأول من أغسطس وعرفت هى أنها ستذكر  
الأيام الأولى من أغسطس للأبد ، سواء كان لها أولم يكن ..  
لقد تعطر ( أغسطس ) بعطر الحب الرقيق الفاغم فلن تروى منه  
تلك الرائحة بسهولة .. لحظات نادرة هى تلك التى تعرف وأنت  
تعيشها أنها ستكون من نكرياتك الغالية ، وكانت هى تعيش  
لحظات من هذا الطراز الفريد ..

منذ متى صارت للشمس رائحة ؟ ومنذ متى كان للروائح  
لون ؟ منذ متى تتحد الحواس لتغدو كياناً واحداً عملاقاً يفعل  
كل شيء ؟ يسمع بأذنيه ويتحسس بأذنيه .. ويذوق بألفه  
ويشم بنسقه ؟ ..  
إنه أغسطس ..

### ٣ - النسر واليمامة ..

إنه ( أغسطس ) ..

والغريب الذى جاء إلى المدينة ليعمل فى مكتب المحاسبة  
منذ ثلاثة أشهر لم يعد غريباً ..

متى تقابلها ؟ لا تذكر .. لعل تلك كان بينما لرواح الأجداد تسكن  
أجساد أصحابها . لكنه يمشى فى نفس الطريق الذى اعتادت  
أن تمشى فيه وهى ذاهبة إلى المدرسة أو عائدة منها ..

لا بد أنها أحبت تلك الطريقة الخجول الهيابة التى يتكلم  
بها ، أو سقوط خصلة الشعر الأسود على جبينه حين ينهمك  
بعمل ما .. قال لها إن اسمه ( توشيو موكازا ) . قال لها  
إنها أجمل زهرة نبتت فى حدائق اليابان . ربما العالم .  
ربما الكون .. قال لها إنه رآها يوماً ما قبل أن توجد  
النجوم .. قال لها إنه يحبها ..

وهى .. هى فضلت الصمت لكن عيني ( متشيكو زاكو )  
تقولان كل شيء بوضوح تام ..



إنه أغسطس ..

والجدة ( فومورا ) يجب أن تعرف ..

هناك أشياء لا تقال للأب ولا الأم ولا الأخت أولاً .. تقال  
لما للصديقة أو الجدة .. وكانت الجدة ككل جدة يابانية أخرى  
يحمل وجهها من التجاعيد ما يوحي بأنه ليس وجهها وإنما  
هو قطعة ورق ( مكرمشة ) حاول كلب ابتلاعها وفشل .. وككل  
جدة أخرى كانت قد فقدت كل ما يجعل المرء شريفاً ، واحتفظت  
بكل ما اكتسبته من حكمة عبر الأعوام .. إنها في تلك السن  
التي يعقد المرء فيها تحالفاً مع الموت .. ليس الموت موتاً  
لكنه يوم زيارة الأصدقاء والأقارب الذين رحلوا ..

وكانت الجدة جالسة في الحديقة الخلفية للدار ..

ليس أهل ( متشيكو ) أثرياء لكن بيتهم مريح ، وله  
حديقة خلفية تطل على حى ( نوبويشو ) .. أى أنهم كانوا  
قريبين من قسم الشرطة لو كنت تعرف خارطة البلدة  
جيداً ..

كانت الجدة جالسة في الحديقة الخلفية للدار أمام منضدة  
صغيرة ، وقد وضعت عليها كتاباً للصلوات .. إن لكل أسرة

شكراً على سنوات حبك كلها ...

شكراً لساعات التهور والتحدى واقتحام المستحيل ..

شكراً على سنوات حبك كلها ...

بخريفها وشتائها ..

وتناقضات سمائها ..

شكراً على زمن البكاء .. ومواسم السهر الطويل ..

شكراً على الحزن الجميل ..

نزار قباني

هنا ديتان هما البوذية و( الشنتو ) .. وبالطبع لم تكن ( عبير ) تقوى أن تندمج إلى هذا الحد لكن منظر الجدة بدا لها زخرفياً يناسب شعورها بأن هذا البلد يتخذ لوضاعاً ليقونية .. فلودهمت سيرة كلباً لمت في وضع ليقوني آخر ..

زحلت ( متشيكو ) على ركبتيها حتى صارت على بعد سنتيمترات من الجدة ، لكن هذه لم ترها .. الجدة لا ترى أى شيء لا يصطدم بأنفها .. والحقيقة أنها لم تكن تقرأ تلك الصلوات ، بل كانت تردد ما حفظته عن ظهر قلب منذ أعوام .. فقط منظر الكتاب المفتوح يقطعها بأنها ترى ..

- « ( متشيكو ) ! لم أرك ! »

كانت كانت ستراها لو لم تكن منهمكة .. وقد ركعت ( متشيكو ) على ركبتيها جوارها وأخبرتها .. أخبرتها بكل شيء بلا تحفظ .. بينما العجوز تضحك كاشفة عن سن واحدة فضية في الصف العلوى من لثتها .. وتكرر في نكاء :

- « سوسكا .. سوسكا ( هكذا إذن ؟ ) .. »

في النهاية فرغت ( متشيكو ) من عصر روحها أمام الجدة ، وتركت لها أن تقرر ما يجب عمله بهذا العصور ..

قالت الجدة :

- « أخته الصغرى .. لا بد من أن ترى أخته الصغرى ! إنها مرآته ومنها تعرفين كيف هو من دون قناع .. »  
بدا هذا كالطلام بالنسبة للفتاة .. ما معنى هذا ؟ لكنها كانت تعرف أسلوب الجدة في فهم الحياة .. هذا شيء يشبه ألا تشتري حصاناً قبل أن ترى أسنانه ..

سألتها في حنق :

- « وإن لم تكن له أخت صغرى ؟ »

- « عندك فتشى عن أخيه الأصغر .. »

- « وإن لم يكن ؟ »

- « عندها لن يكون جديراً بحبك يا ( متشيكو ) »

الصغيرة !



الحق أنها تحتاج إلى عدة عقود حتى تفهم حكمة الجدة .  
ما ذنب الفتى لو لم يكن لديه أخوة صغار ؟ لكن الجدة تؤمن  
أن هذه جريمة لا تغتفر ولا يمكن التسامح منها .

سألته في كياسة :

- « وهل تقبلون بأن أتروحه يا جدة ( فومورا ) ؟ »

ضحكت المرأة طويلاً وقالت في النهاية :

- « لم لا يا ( متشيكو ) الصغيرة ؟ لكل يتزوج يوماً ما ..  
لكنك يمامة فلا بد أن تعيش في كنف نسر . تأكدي من أنه  
نسر ، والأهم تأكدي من أنه يراك يمامة .. »

- « أنا متأكدة من الجزء الأخير .. »

- « إذن فالأمر سهل . هي هي هي . والآن اتركني قبل  
أن يفوت وقت الصلوات .. »

نهضت ( متشيكو ) متراجعة بظهرها كعادتها مع الكبار ،  
فصاحت الجدة تكلم الهوام :

- « تذكرى .. لختك الصغيرة ! لا تنسى ! »

\*\*\*

إنه أغسطس ..

إنه قدم من بعيد .. وهي تراه فتشعر بأن قلبها يخفق  
مع خطواته .. المرأة يرمقونها بوجه صلب لكنه حنون ..  
حسبما يظهر من البدى وأرق من النسيم فلا يحرق أحد على  
أن ينظر لهما نظرة لائمة أو حاسدة ..

تسأله في رقة :

- « هل لحر يرهقك ؟ »

يتشتم الجو في أفنان ويقول وهو ينزع عويناته  
المذهبة :

- « لا .. ليس الطقس حاراً .. ما من عاشق يشعر بالحر  
أو بالقفر .. »

ما من عشق يرى القبح ، وما من عاشق لا يتحمل الاساءة ،  
وما من عشق لا يشعر بأن الحبة لم تهمله بكرم لا يستحقه ..

تمشى جواره قرب حى ( نوبوشو ) وتسأله وهي تمشى  
بسرعة كي تلاحق خطواته :

- « هل لك إخوة ؟ »

- « نعم .. ثلاثة منهم .. »

- « هل هم معك هنا ؟ »

- « نعم .. ومعى والدتى .. كنا نعيش فى مزرعة جدتى فى ( شيماتى ) قبل أن نأتى هنا .. إنهم صغار السن وما كنت لأتركهم مع أمى .. إنتى أودى دور أبى .. »

- « هل لك أخت صفوى ؟ »

ضحك لغرابة السؤال ، ثم قال وهو يقطف زهرة :

- « نعم .. وأنت بالذات تعرفينها .. إنها ( هيروكو ) .. »

- « الطالبة فى الصف عدى ؟ »

- « نعم .. »

كانت ( هيروكو ) هى تلك الدمية اليابانية التى تعتقد أن الأرائب البيضاء الصغيرة هى أجمل ما فى الوجود .. دمية تتخيل أنك لو فحصت ظهرها لوجدت موضع البطاريات الجافة مع ( صنع فى اليابان - لا تشمل البطاريات - أجزاء صغيرة قد تسبب خطر الاختناق للأطفال دون الثالثة ) ..

إنى هذه هى أخته .. لقد انتهت أسباب قلقك يا جدتى .. لا توجد مشكلة ..

سألته فى اهتمام :

- « والطفلان الآخران ؟ »

- « واحد فى الثامنة والآخر فى الحادية عشرة .. إنهما لطيفان كتلاميكة سليمان كالجرس .. تسليين أسئلة عجيبة بعض للنشى .. »

صمتت ولم تقل شيئاً .. لن تخبره طبعاً بسبب اهتمامها ..

★ ★ ★

رياح أكتوبر تحرك مياه البحيرة ..

تحرك كميرات ثوبى .. تلامس الأعشاب الرقيقة ..

كان النسيم رقيقاً ، وأردت أن أمسك يدك ..

إن زهور الوادى العنبرية قد غطت على كل شيء ..

( أغنية قديمة لميراي ماتيو )

★ ★ ★



إنه أغسطس ..

وتقول لها أمها وهي تعد الحساء بالسّمك :

- « خذي الحذر يا (متشيكو) .. أنت بريئة .. بريئة جداً وحلوة .. لقد جنت العالم كي يخدعك أحدهم .. »

هل عرفت شيئاً ؟ لا تعتقد هذا .. إذن هو الحَدَس .. و(متشيكو) تؤمن مثل أي واحد آخر بالحَدَس .. لكن هذا للتخمين جاء في وقت لا تتوقعه على الإطلاق .. لهذا ارتبكت ..

تقطع أمها البصل والكراث على حساء السمك ، وتقول :

- « إن العالم لا يعج بالشياطين ، لكنه كذلك لا يعج بالملائكة .. »

قالت لها متجاهلة عينيها الثاقبتين :

- « هل هذا الكلام يعنى أكثر من النصيح ؟ »

قالت الأم في رفق :

- « لا .. لكن السيدة (كنترولوا) كانت هنا منذ ساعات ، وقد أخبرتنى عنك أشياء وأشياء ... لنا أعرف أنك لم تقارفى خطأ لذا أتكلم .. هذا هو ألون للتوقف قبل أن يحدث شيء .. »

- « وهل من الخطأ أن يطلب يدى ؟ »

- « ليس من الخطأ .. فليات إذن .. إن لدارنا باباً واحداً وهو السبيل إلى الدخول ، فلماذا يجول في الأرقعة ؟ لماذا لا يأتى مع أسرته للقاء أبيك ؟ »

ثم تذوقت الحساء وتلمظت حيناً وقالت :

- « إنه شهى ، ولنسوف يسعد به أبوك .. إنه يعود جانفاً كنمر صغير .. »

كانت رائحة السمك تفوق قدرة (عبير) على الاحتمال .. لو كانت اليابان تحفة فى كل شيء ، فإن مطبخها هو الاستثناء الوحيد .. إن ملى السمك مع الكرنب لا يمكن أن يغرى قطاً جانفاً شريداً أجرب بأن يأكل ..

لهذا قالت وهي تحبس أنفاسها :

- « سلخرج قليلاً يا أماء .. »

وتراجعت بظهرها إلى الوراء وهي تكرر الانحناء ..



- « شاب وسيم هو .. ينسبك تمامًا يا (متشيكو) للحسناء ..  
يبدو أنه سيتزوجك .. لكن لو كنت مكانك لصرت أكثر حنراً .. »  
تحشرت لقمة الزلاوية في فمها ، فنظرت إلى البائعة في عدم  
فهم :

- « ماذا تقولين يا (كوتيكو) ؟ »

قالت البائعة بكياسة :

- « إن هذه الأشياء تنقل من جيل لجيل .. أبى كان يقول  
إنها نقمة الأجداد علينا .. »

- « عم تتكلمين بالضبط ؟ معذرة أنا لا أفهم حرفاً . »

قالت البائعة وهي تلقى بعض العجين في المقلاة العملاقة :

- « هذان الطفلان .. إنهما مصابان بمرض عضال ..  
يضعهما مفاً على مقعد متحرك ويجوب بهما الحديقة كل يوم  
عصراً .. يا للأسى ! كل طفل منهما لا يستطيع رفع حاجبيه  
فماذا عن يديه ؟ كان لى قريب رزق طفلاً من هذا الطراز .  
وقد قتل الأطباء فى (طوكيو) - ترين أنه كان ثرياً - إن طفله  
مصاب بداء وهن العضلات . هذا قاس .. خاصة بالنسبة لأب .  
لكن ماذا عن أخوى فارسك الوسيم ؟ »

- « أخويه ؟ »

## ٤ - كذبة بيضاء ..

إنه ( أغسطس ) ..

وتنجه إلى باعة الزلاوية لتبتاع قطعتين ، وتسألها على سبيل  
العادة :

- « هل هى لذيذة اليوم يا (كوتيكو) ؟ »

- « أأذ من وجهك ؟ أشهى من غمازتك ؟ مستحيل ! »

هذا نوع من الاطمئنان اليومي يشبه ما كانت تقوم به ساحرة  
(سنو وايت) التى كانت تستشير المرأة كل يوم ..

وتقضم (متشيكو) قطعة الزلاوية .. لذیذة فعلاً ،  
ومضى هذا أجمل فتاة على وجه الأرض ..

تسألها البائعة التى لا تقل عنها حسناً :

- « أين فارسنا الوسيم اليوم ؟ »

تنظر لها (عبير) بدهشة .. الموضوع لم يلهب إلا منذ  
ثلاثة أيام ، وها هى ذى كل المعصورة تعرف به .. لا بد أن  
الامبراطور ذاته يتساعل عن كنه هذه العلاقة ..

لم ترد فقالت البائعة :

هزت البائعة رأسها وهي تقلب الزيت بمنقعة خشبية :

- « نعم .. جاء بهما هنا وابتاع لكل منهما زلابية ..  
سأنته عن الطفلين فقال إنهما أخواه .. كان ينادى كلا منهما  
بقلب أخى .. »

بدأت ( متشيكو ) / ( عبير ) تتوتر .. الفتى قال إن أخويه  
سليمان .. من الطبيعي أن يخفى أشياء كهذه .. هذه معلومات  
لا تمنح مجانا .. ولكن ...

لردفت البائعة :

- « تفهمين قصدى .. طفلان في الأسرة ذاتها .. هذا قسوى  
يتحرك في الثرية .. لو كنت مكانك ل ... »

ثم أخرجت أول قطعتين من الزلابية ووضعتهما على لفافة  
من الورق الذي يمتص الزيت ..

- « هل لك في المزيد ؟ »

- « لا .. »

كانت هذه أول مرة تكلم فيها إسماعيل بغمضة لكنها لم تتحمل  
البقاء مع طوفان أفكارها ..

لو كان هذا حقيقيا فإن زواجها بهذا الفتى الوسيم  
الخجول أمر مستحيل .. يسهل أن ترغم أنها ستضحى لكن  
ما ذنب هؤلاء الأطفال الذين سيأتون إلى العالم عاجزين عن  
رفع الحاجبين ؟

\*\*\*

إنه أغسطس ..

لكنه لم يعد بالجمال ذاته بالنسبة لها .. ثمة سحابة رمادية  
تعبّر الآن أمام قرص الشمس .. هذه السحابة هي القلق . فلقى  
من أن يتزوجا فتكون النتيجة مريضة ، وفلقى لأنه كذب عليها ..  
لأنه يكذب عليها .. هي مجرد كذبة بيضاء .. إن المرء لا يفرغ  
أحشاءه بهذه السهولة لدى معرفته فتاة ..

لكن ماذا لو كان يخطط كي يتزوج تلك الفتاة ؟

و حين قابله وهو في طريقه إلى العمل كان يحمل جريدة  
امتلأت بتلك النقوش اليباتية الجميلة .. وكان يمشى مسرعا  
لأنه تأخر ، لذا راحت تلهث وهي تحاول اللحاق بخطواته  
المتسعة ..

قالت له :

- « لماذا لا تأتى لدارنا ؟ »



نظر لها . الحقيقة أنه نسي أن الحب يجب أن يتوج  
بالتزواج .. لا يوجد حب للحب إلا في عقلية شعراء الرومانسية  
الفرنسيين ، وهو لم يقرأ لهم على كل حال ..

« بالطبع .. ماذا كنت تظنين ؟ »

« هل تتلى أسرتك معك ؟ »

« لا أحد يذهب لطلب يد حبيبته وحيداً ما لم يكن كذلك  
فعلاً .. »

« وجميع إخوتك سيأتون معك ؟ »

« هذا أكيد .. »

« هل هناك ما لم تخبرني به عنهم ؟ »

فكر قليلاً ثم هز رأسه :

« لا شيء .. بالتأكيد لا شيء .. »

وهنا كان مكتب المحاسبة الذي يعمل فيه قد صار على بعد  
مترين ، فhez رأسه نها ووثب الدرجات العقلية الصاعدة .. بينما  
واصلت هي طريقها بنفس السرعة ..

وصلت إلى المدرسة ، فتلقته المديرية العجوز بالسؤال القديم

عن سبب تلآخرها لكنها في هذه المرة لم تكن تحمل زهرة  
واحدة .. ككت تحمل لثفاً محمراً يوشك على الانفجار .. وتحمل  
رنتين تشبهان طلباً للهواء ..

دخلت إلى الصف حيث كان الصغار يلهون ، ولم يبال أحد  
بدخولها لأنهم يعرفون أنها منهم .. لكنها نالت بصوت عال :  
« ( هيروكو ) .. »

هرعت للصغيرة التي تشبه دمية ( صنعت في اليابان )  
إليها ، فاتحنت ولثمتها . ثم اتحت بها جانباً وسألتها :

« هل الطفلان المريضان .. الطفلان اللذان يجلسان  
على مقعد متحرك أخوك ؟ »

ابتلعت الصغيرة ريقها وقالت :

« ( أوزاوا ) و ( ميكو ) . نعم .. نعم يا ( متشيكو ) ..  
هما أخواي .. »

« وأخوك الأكبر هو ( توشيو سان ) ( \* ) ؟ »

« نعم .. نعم .. هو أخي .. »

( \* ) لا أعرف إن كنت قلتها من قبل أم لا ( سأل ) معها ( السيد )

هكذا أسقط في يدها .. يجب أن تتفعل .. يجب أن تصمم أمرها .. أولاً من الواضح أنه لم يكن صريحاً معها .. في المحاكم الغربية يقسم الشاهد على أن يقول الحقيقة .. كل الحقيقة .. ولا شيء غير الحقيقة .. (توشيو) لم يقل كل الحقيقة .. بل لم يقل الحقيقة ذاتها ..

ثانياً : لم يعد الزواج بهذا الشكل إلا مخاطرة .. اثنان في أسرة واحدة ! معنى هذا أن الصفات الوراثية موجودة وقوية .. من حق الأطفال المصابين بوهن العضلات أن يعاملوا برفق وينالوا حظ سواهم من الحياة ، لكن من حقهم كذلك ألا يوجدوا لو استطاعوا ذلك ! هذا ليس توحشاً .. نحن نتكلم عن الاستشارة الجينية قبل الزواج لابعده .. قبل أن يأتي هؤلاء التمساء إلى العالم وليس بعده .. و (عبير) لم تكن تعرف شيئاً عن الجينات .. لم يكن أحد يعرف الكثير في ذلك الزمن ، لكنها تعرف يقيناً أن الخطر قائم ..

وهكذا أدركت أن قصة الحب الأولى في حياتها قد انتهت ..

وفي موعد العودة كانت في الطريق إلى دارها حين رآته مقبلاً نحوها وهو يضحك ضحكته المشرقة المرتبكة نوعاً ..

لم تدر ما تقول ولا ما تفعل ..

أطلقت ساقها للريح وهي تتشج بصوت عال ..  
لم تسمع منه إلا صيحة مذهشة مبحوحة :  
- « (متشيكو وروو) ! هل حدث شيء ؟! »

\*\*\*

بته أغسطس ..

إذ خرجت ليلاً لتبتاع العشاء للأسرة ، كان رجال الشرطة وجنود الحرس المدني يرمقونها في دهشة .. ماذا أصاب (متشيكو) الحسناء ؟ لماذا ذبلت صغيرتها ؟ أين ذهبت غمراتها ؟

كانت تمشي في الحديقة شاردة الذهن قاصدة بائع الخبز ..  
هنا وجدت أنها تحدد في الصبيين الجالسين على مقعد متحرك ..

كانا في السابعة من العمر ، متشابهين تماماً ، وإن كان ضمور العضلات قد جعلهما في حجم طفلين في الرابعة من العمر ، ولهذا كان المقعد يتسع لهما بلا مشاكل .

جولرهما كانت امرأة في الأربعين من العمر تبتاع الخبز ، وبدا بوضوح أنها أمهما أو خالتهما أو شيء من هذا القبيل ..



تصلبت ( عبير ) وراحت ترمق المرأة والطفلين .. حقاً  
كانا يثيران الشفقة .. الرأس ثقيل لا يتحملة العنق ، لذا اتحنى  
على الصدر ، والفم لا يقدر على الانغلاق لذا هو مفتوح يتنلى  
منه خيط من اللعاب .. اليدان كجناحي بجاجة ، والساقان  
كجناحي لوزة ..

التقت عيناها مع المرأة فحنّت هذه رأسها كعادة اليابانيين ،  
ثم عادتا تتبادلان النظرات .. من أنت ؟

في النهاية قالت ( عبير ) :

- « أهدان أخوا ( توشيو سان ) ؟ »

بدت الدهشة على للمرأة وقالت :

- « تعرفينه ؟ »

- « نعم .. أعرفه كثيراً .. »

قالت المرأة وهي تقطع شريحة من الخبز وتدسها في فم  
أحد الطفلين :

- « إنهما قادران على البلع .. هذا لحسن حظي .. »

ثم أردفت :

- « إنه يكره أن يمر عصر يوم من دون أن يأخذهما  
للنزهة عصرًا ، ويتنازع لهما الزلابية .. »

هذا الجزء تعرفه ( عبير ) لكنها لم تبد ذلك ، وهي تمد  
يدها تربت على رأس أحد الصغيرين البائسين .. وقالت :

- « من حسن الحظ كذلك أن أختهما سليمة تمامًا .. »

قالت المرأة وهي تقطع شريحة أخرى من الخبز :

- « ليست لهما أخت .. »

- « تحدث عن ( هيروكو ) .. »

قالت المرأة بلامبالاة وهي تكس للخبز في فم الأخ الثاني :

- « ( هيروكو ) أخت ( توشيو سان ) .. »

تصاعد الدم إلى رأس ( عبير ) من فرط الغباء البشري :

- « أي أنها أختها .. »

- « مجازاً نعم .. إن ( توشيو سان ) يعتبر طفلي أخويه ..

وهما لا ينادياه إلا بـ ( أخى ) .. بل هو يرغم إخوته الحقيقيين  
على أن يعتبروهما من الأسرة .. بعض الناس هنا يعتبرون  
الطفلين أخويه فعلاً .. لنا لم أر قط إنساناً أبى منه ولا أكرم ..

لقد جننا هنا منذ شهرين ، وعرفنا أنه سيقا إلى هنا بشهر  
أو أكثر قليلاً .. ومنذ عرف بعاهة طفلى ، وهو يصير على  
أن يفرج عنهما .. لقد صارا يحباته أكثر منى أنا لهما .. «

هتفت ( عير ) وأنفاسها تتلاحق :

« لكن له أخوان ذكران ! »

« نعم يا حسناء .. لكنهما سليمان كالجرس .. ماذا ظننت ؟ »

\*\*\*

إنه أغسطس ..

و ( توشيو ) ليس كاذباً ولا يحمل مورثات تلك العاهة ..  
إنه إنسان نبيل نبيل ، يمقت أن يترك طفلين يتعذبان .  
والأهم أنه لم يخبرها بذلك قط ولم يتفاخر به ..

كانت تعرف أن قلبها ليس بأحمق .. ليس ذبابة غبية  
تخلق ثم تهبط فوق كومة من القاذورات .. بل هو فراشة  
لا تحط إلا فوق زهرة نادرة .. وهى تركت فؤادها يختار  
فأحسن الاختيار ..

كانت تعرف أن عينيها ليستا حمقاوين .. حين تريان  
السقاء فى إنسان فهو نقى .. لا مجال للخطأ ..

كانت تعرف أن ( أغسطس ) حكيم عجوز لا يخطئ ..  
وحين يقرر أغسطس أن يغدو أجمل الفصول ، فإن لهذا  
تفسيراً قوياً .. ليس الأمر مصادفة ..

اليوم هو الاثنين .. تصحو من النوم وتقول للعالم : أيها  
العالم أنا أحبك ..

تهرع فى الشارع مبكرة نحو المدرسة .. الطقس حار  
أكثر من اللازم مما ينذر بيوم صعب .. ربما أصعب يوم منذ  
بداية أغسطس ..

الثامنة صباحاً .. لن تلومها المديرة لكنها لن تلقاه كذلك ..  
لا مشكلة .. عندما يحين موعد الانصراف ستقبله .. ولنسوف  
تخبره دامة أنها حسبت قصة حبها فتت .. بينما هى بدأت ..  
دخلت الفصل ..

إنها الثامنة وعشر دقائق ..

قالت للتلاميذ الحائسين :

« اليوم سأخبركم عن أجمل شيء فى العالم .. »

« ما هو يا ( متشيكو ) ؟ »

« خمنوا .. »



قالت أخت (توشيو) الحقيقية :

- « طيور الستونو .. »

- « لا .. هناك ما هو أجمل .. »

قال طفل (مظلل) بشدة :

- « كعك الزنجبيل .. »

- « لا .. »

طفل ثالث نكي :

- « أغسطس .. »

- « لا .. »

- « إذن ما هو يا (متشيكو) ؟ »

قالت وهي تنظر إلى العالم حيث بدا من النافذة :

- « إنه .. إنه ..... »

هنا ابيض العالم كله .. ولم تعد تسمع حرفاً ..

لم تعرف ما حدث .. ولن تفهمه إلا بعد زمن طويل ..

لكنها تذكرت في هذه اللحظة الحاسمة أنها لم تول عناية  
لاسم البلدة التي تقع فيها هذه الأحداث ..

الآن ترى لافتة تطير في الهواء الساخن ..

لافتة كتب عليها ( هيروشىما ) ..

إنه أغسطس ..

بالتحديد يوم الاثنين السادس من أغسطس عام ١٩٤٥...

الساعة الثامنة والرربع صباحاً !

\*\*\*

## الجزء الثاني

### الأشباح

« لو تتبأت بما سيحدث لو ددت أن أكون سمكرياً بدلاً من  
عالم طبيعة .. »

أينشتاين

\*\*\*

## ٥ - مخالب الشيطان ..

لم تكن ( هيروشيما Hiroshima ) قبل الساعات من أغسطس  
مسرحاً للحرب المضطربة والتي طالت كل مدن اليابان ..

لقد تصاعل الناس مروراً عن سبب كون القنابل لم تهو على  
( هيروشيما ) قط .. واعتقدوا أن مدينتهم محظوظة .. ومن  
سمعوا صفارات الإنذار في هذا الصباح لم يولوها اهتماماً  
لأنهم اعتادوا أن تمر الطائرات الأمريكية في سمائهم قاصدة  
أهدافاً أهم ..

البعض رأى تلك الطائرة تحلق على ارتفاع عال ..

البعض رآها تقذف شيئاً ثم ترتفع ..

لكنهم لم يعلقوا على ذلك أهمية ما ..

في بادئ الأمر حدث ذلك البريق الناصع ..

لقد زالت الألوان عن كل الموجودات ، والعالم صار بقعة  
ساطعة من اللون الأبيض حتى حسب الجميع أنهم أصيبوا  
بالعمى ..

لم تعد ثمة حدود ولا معالم لأي شيء ..



لقد صار العالم كله لا شيء أبيض .. ومعه سواد  
الصمت .. ثم بعد أحد يسمع أي شيء ..  
اللحظة التالية هي لحظة الحرارة ..

فجأة شعر الناس كأنما الشمس قد هوت من السماء  
لتسقط فوقهم .. إن اليابانيين وثنويون يؤمنون بخليط غريب  
من المعبودات ، لذا حسبوا أن إله الشمس جاء شخصياً إلى  
بلدتهم المتواضعة ..

وفي خمسين ألف جسد من الأجساد التي لم تتفحم فوراً ، تركت  
الحروق علامة سيطلق عليها فيما بعد اسم (مخالب الشيطان) ..

وعلى بعد خمسين أو ستين كيلومتراً سمع الناس  
صوت البركان الهادر ..

نبحت الكلاب في القرى البعيدة ، وثارت الخيول ، لكن  
الإنسان لم يفهم ..

الآن بدأت مرحلة الأعاصير ...

أعاصير عنيفة تطير كل شيء .. تمزق الثياب .. تطير  
الأطفال في الهواء .. تنتزع أعمدة النور واللافتات وتقلب  
السيارات .. ومعها جاء الغبار ليغطي كل شيء .. ثم  
اتسحب الغبار ..

وتغلف سماء المدينة سحابة سوداء ثقيلة .. كأنما هم  
جربوا للتور التام والظلام التام في ثوان .. وفي كلتا الحالتين  
هم لا يصرون شيئاً ..

الآن انتهت المرحلة الثالثة .. تحت المؤثرات السابقة  
لتفسح المسرح للممثل المرهوب المخيف : النار ..

اندلعت النيران تجتاح كل شيء بلا رحمة .. والغريب  
أنها اتخذت صورة القطار الذي يشق طريقه في حماسة  
وجرأة بين البيوت على الجانبين .. قطار يعرف كيف يدخل  
الأرقة ، وكيف يدخل من النوافذ ..

وراح الناس يصرخون ويركضون ..

لكن النار كانت أسرع منهم ، لذا بدا المشهد كأنها كائنات  
عجيبة تتكون أجسادها من النيران .. وكأننا هبطنا على  
كوكب فضائي مجهول ..

لقد بدأ العصر النري ...

\*\*\*

يمكن القول بدقة إن القنبلة سقطت في المثلث الذي يتكون  
من مصرف (زديوتومو) وبنية (فوكوزيماي) وإدارة الغل ..

نفس الموضع الذي كنت ( عبير ) تمشي فيه منذ أيام مع فارسها  
لرفيق ( توشيو ) ..

ترى كم فراشة احترقت ؟ كم زهرة تفحمت ؟

طبعاً لا أحد يفكر في أمور كهذه لأن حرارة القبلة أذابت  
الأعمدة الخرسانية ذاتها ، وما زالت حتى اليوم توجد صوراً  
لأشخاص كانوا يقفون أو يتكلمون حين سقطت القبلة ..  
لقد قامت الحرارة المشعة بتحميز صور هؤلاء وطبعها  
على الأسفلت . لا بد أن صورة الحارس الواقف على باب  
المصرف مطبوعة يراها سياح ( هيروشيما ) اليوم ..

هذه الدائرة التي يمتد قطرها أربعة كيلومترات هي منطقة  
الفناء الشامل .. هي منطقة ( اللابشر ) . حيث لم يفلت فيروس  
ولانملة ولا قيط ولا إنسان من الفناء . ليس الفناء بل التبخر ..

مدرسة ( عبير ) كانت بعيدة عن هذا كله ..

لا لم تنج .. ما زال على القبلة أن تقضى على مائتي  
ألف ياباتي في ذلك اليوم المشنوم ..

لقد اندفعت النيران إلى داخل الصف ، وسمعت الأطفال  
يصرخون .. هل مستها النار ؟ لا تعرف ..

كل ما تعرفه أنها شعرت بحاجتها إلى ألف يد .. لم تكن  
لديها إلا يداها احتضنت بهما طفلين واندفعت نحو الباب ..  
وفي الخارج لم تصدق ما تراه ..

الشارع الجميل تحول كله إلى نيران .. والسماء بلون حدائك  
الأسود أو قلب عدوك ..

ألقت بالطفلين على الأرض ، ثم عادت تبحث عن المزيد ..  
لكن النيران والدخان يحاصرتها .. لا تخطو خطوة من دون أن  
يهوى فوقها شيء ما .. في النهاية مدت يدها بين الأطفال  
والتقطت ثلاثة يصرخون كقطط صغيرة عمياء ، وهرعت إلى  
الخارج ..

ألقيهم على الأرض وأعبت الكرة ..

لكن الأمر صار مستحيلاً هذه المرة .. لقد اكتمل جدار  
النيران فلم تعد يستطيع أن تبصق من خلاله ..

لم تتقد إلا خمسة أطفال ! لم تتقد إلا خمسة أطفال ..

وهرعت إلى الخارج لتصطدم برجل يمشي في هدوء وسط  
هذه النيران ..

قال لها وهو يواصل المشي :



- « إنها نهاية للعالم يا رجل . نهاية العالم .. »

رجل ؟ ثم فطنت إلى أنه لا يبصر شيئاً .. في الواقع لم يعد له رأس .. كتلة متفحمة تعلو عنقه يصدر منها صوت .. إنه مجرد شبح يمشى كما يمشى الزومبي في القصص المخيفة .. مشى بضع خطوات ثم هوى على وجهه بلا حرك ..

لأين تذهب ؟ ماذا تفعل ؟

هي تملك مزية واحدة لا يملكها هؤلاء .. إنها تعرف ما يحدث .. تعرف أن المرشد الوغد اختار لها مغامرة عاطفية في ( هيروشيما ) يوم سقوط القنبلة ، أما هؤلاء القوم فلم يروا شيئاً كهذا من قبل . وأكثرهم ماتوا أو سيموتون دون أن يفهموا ..

كان جدار النيران يسد الشارع ، ورايت مجموعة من الشباب يركضون .. يركضون نحو النيران ذاتها .. ما هذا ؟ هل فقدوا صوابهم ؟

- « انتظروا !! لستم ! »

لكنهم غابوا وسط النيران .. فلم يطلق أحدهم صرخة .

لقد أصابهم العمى من وهج القنبلة فلم يعودوا يعرفون أين النار ..

هكذا راحت تركض في طريق ملتو .. الأطفال معها .. لا تعرف إلى أين تذهب بهم ولا ماذا تفعل ..

لم تتفد إلا خمسة أطفال ! لم تتفد إلا خمسة أطفال ..

وعبر الشارع رأت حافلة محترقة .. لم يبق منها إلا هيكل منصهر أسود .. ومن التوافد ترى قطعاً من اللحم لا أكثر ولا أقل ..

وسمعت من يصيح بها :

- « إلى النهر يا فتاة ! إلى النهر ! لا سبيل للنجاة إلا النهر .. »  
به الجحيم .. لم تعد تميز أى شارع ولا أى اتجاه .. المدينة كلها تحولت إلى دائرة رماد تحيط بها دائرة أوسع من البيوت المحترقة ..

ثمة امرأة عجوز تنبش في كومة رماد ، ثم تخرج منه عظمة صغيرة يتصاعد منها الدخان .. تصرخ وهي تضحك :

- « هذا هو ما تبقى من ابني ! لقد وجدته ! هاهاها !! »

وحيدة تكف وسط الرماد ملوحة بالعظمة ، وقد راحت تضحك وتضحك .. شعرها يتصاعد منه الدخان ، فبدت كأنها إحدى ساحرات ( ماكبث Macbeth ) ..

تسلحت ( عجير ) برأسها عن المشهد .. هي لا تصدق .. كل

هذا أكبر من أن يستوعبه عقلها .. لكنها ستجد الوقت الكافي فيما بعد كي ترتاع .. كي تقدر المساة حق قدرها .. كي تتحدث عن الوحشية التي لا توصف حين ...

رباه ! أبواها وجدتها !

تحت أرضاً ونظرت حولها . على الأكل لا تهب النار على هذا المكان .. لذا قالت للأطفال الباكين :

« انتظروا هنا بلا حراك .. »

إنهم يصرخون وييكون فلا يسمعون ما تقول .. علات تكرر الأمر فلم يصغ أحد ..

« اخرجوا !! »

لا شيء يحطم الأعصاب أكثر من عويل طفل لا يتوقف ولا يفسح مجالاً للتفكير .. إنك تشعر بأن كل نعمة تذيب عصباً من جهازك العصبي .. هذه المرة فهموا فتركهم حيث هم ، وراحت تركض في الشوارع التي لم تعد شوارع .. هي فقط تعرف أن هذه الحافلة المحترقة كانت تمشي في شارع من قبل .. إنن المقدمة تشير إلى ما كان فتحته من ساعة ولحده ..

إنه لكابوس .. الجثث على الإقريز في كل مكان .. لكنها كفت عن أن تكون جثثاً .. هذه قطع من الفحم .

وكاهن من ( الشنتو ) يقف وسط الطريق عارياً تقريباً بعد ما أطارت الأعاصير ثيابه .. يعوى مردداً :

« هلك الجميع .. هلك الجميع ! »

ثم رآها فصاح :

« أنت أيضاً هالكة يا فتاة .. لا تحصي أنك فررت .. إن ( البيكانون ) يجد الجميع ! »

( البيكا ) لفظ ياباني مضاه ( الصوء ) .. و ( بون ) مضاه ( الصخب ) .. هو يتحدث عن الضوء والصخب اللذين هبطا من السماء على غير إذار .. وبعدهما لم تعد الحياة كما كانت ..

واصلت ركضها نحو حي ( نوبويشو ) حيث كانت دارها ..

هذا هو المكان .. بالتأكيد هو لكن لم يعد هناك بيت .. لقد صار المكان ساحة خالية تنتثر فيها أشياء تحترق . أين أبي وأمي ؟ فقط فلتدع الله ألا يكونا في الدار وقتها ..

وفي الحديقة الخلفية - لوحيث كنت - رأت كومة من الرماد المتصلب . لو أمعنت النظر لأدركت أنها تمثل تمثالاً متفتتاً لامرأة جالسة على ركبتها .. لاشك أنها كانت تطالع كتاب صلوات حين طرأ الانفجار .. إنها الجدة .. نعم .. لاشك في هذا .. كنت منها لتلمسها لكن الحرارة الحارقة المتصاعدة من الرماد جعلتها تتراجع ...



« الكل يتزوج يوماً ما .. لكنك يمامة فلا بد أن تعيش في كتف  
نسر .. تأكدي من أنه نسر ، والاهم من أنه يراك يمامة .. »  
هذه الكلمات خرجت من هذا الرماد منذ يومين أو أقل ..

من يصدق هذا ؟

وهكذا غادرت المكان دامعة العينين .. لالم تدمع عيناها  
لسبب لم تفهمه .. لكنها فعلت كل ما يفعله الباكون من أنين  
ونهنهة ..

لو كان ظنها صحيحاً فهي تمشي الآن في ذات الطريق الذي  
كانت تمشي فيه وهي ذاهبة للمدرسة .. من هنا كان (توشيو)  
يمشي .. لابد أنه كان قد غادر داره حين وقع الانفجار ..

تري هل هو قد ..... ؟ لا تعتقد ذلك .. لماذا ؟ لأن الحياة  
ليست بهذه القسوة ..

لكن هل هي ليست بهذه القسوة فعلاً ؟ كم من أطفال  
صفها أنقذتهم ولم يحترقوا أحياء ؟ إذن كل شيء ممكن .. كل  
شيء ممكن ..

وفي الطريق كان هناك جدار أسود اللون بقي وحده  
وسط مساحة خالية من أية بناية أو أي أثر بشري ..

رأت شيئاً منتصباً بالجدار .. أدركت أن هذا إنسان أذابه  
الانفجار ليحيله إلى جزء من الجدار ذاته .. من فضلك  
لا تكن أنت .. أرجوك لا تكن أنت .. لو سمحت لي لا تكن أنت ..  
لكنك أنت !

كانت معالمه قد تلاشت لكنها ترى أنه كان يضع  
عوينات .. وأنها مذهبة .. لقد ذابت تماماً لتبدو كأنها  
رسمت على رأسه بقلم مذهب .. فتح فمه في صرخة  
صامتة متمكن كوابيسها للأبد ..

كان هذا كافياً ..

راحت تركز وسط النيران صارخة :

« القتلة !! القتلة !! »

\*\*\*

هكذا ركضت إلى النهر .. لتغرق الأمر مسافة لا بأس بها  
وجهداً جهيداً ، فقط لتدرك أنها لا تملك شيئاً تضع فيه الماء ..  
راحت تفتش حولها ..

أخيراً وجدت جثة جندي مغمورة في الماء والخوذة على  
رأسه ..

أسفة أيها الجندي .. أنا لن أهينك .. فقط أريد أن أنقذ  
ثلاثة حيوات ..

انتزعت الخوذة من على رأسه بصعوبة ، وكانت ساخنة  
كالفرن .. ملأها بالماء الموحل الملوث الساخن ، ونهضت ..  
راحت تركض جارية إلى حيث كان أولئك الفتية ..

المهم أن تسرع . من المحزن أن عمر أكبرهم لا يتجاوز  
السنة عشر عاماً ..

أخيراً دنت منهم في مجلسهم ، وأثار دهشتها أنهم كفوا  
عن القاء .. هل هدأت نفوسهم لم ؟

بالفعل .. لأحد منهم يتحرك لقد لفظوا أنفاسهم جميعاً ..

نظرت إلى الخوذة المليئة بالماء في يدها .. هل تشعر بظما ؟  
ربما .. هي لا تعرف الآن إن كانت ظمئة أم لا .. هكذا ألقت  
الخوذة بما فيها جوار الفتية وانطلقت عائدة إلى حيث تركت  
الأطفال ..

## ٦ - النهر ..

إنه أغسطس ..

والآن صارت ( متشيكو ) الحساء ذات الصغيرة بلا صغيرة ..  
بلا أهل .. بلا حبيب .. بلا بيت ...

الأدهى أنها كانت مدركة تماماً لحقيقة أنها لم تفلت من  
مخالب الشيطان . من حولها يجهلون معنى للتوث الإشعاعي ،  
لكنها تعرف .. وتعرف أن جسدها امتص كميات هائلة من هذا  
التوث تكفى لتشغيل مفاعل ..

فجأة تسمع عند المنعطف غناء ..

إنه نشيد ديني ياباتي من الأناشيد التي يودعون بها  
لموتى . تنو أكثر فترى ثلاثة شبان - أو كانوا كذلك - يجلسون  
على الإفريز - أو ما كان كذلك - ويقنون بصوت واحد تلك  
الأغنية ..

أحدهم كان مازال يملك عينيه فصاح بها :

« أيتها الفتاة .. نحن نريد جرعة ماء .. »

نكرها منظرهم بأشباح الأساطير الإغريقية الجالسة في ممكة  
لموتى تتسول قطرة لبن كي تملك لقرة على التعبير عن نفسها ..

عليها أن تأخذهم إلى النهر .. لو كنت مسئولة عن نفسها  
لظلت حيث هي إلى أن تموت .. لكنها مسئولة عن أطفال ..  
إن حالة ( هيروكو ) الصغيرة تثير قلقها .. لقد احترق أكثر  
جسدها .. صحيح أن وجهها لم يمس لكن من الواضح أن  
كل ما عدا ذلك في غاية السوء ..

قالت الصغيرة وهي تتحجب :

- « أمي .. أخي ( توشيو ) .. أين هو ؟ »

- « بخير .. كلهم بخير .. وقد نجوا كما نجوت أنت .. »

لماذا يغزو الكذب عسيراً بهذا الشكل ، بينما كل الناس يكتفون  
طيلة الوقت ؟ لماذا تخرج الكلمات من صدرك فتصطمم بالقصة  
التي تسد حنجرتك ، وتقاوم للخروج كما يقاوم راكب الحافلة  
للخروج منها في القاهرة في وقت الذروة ؟

صاحت في الأطفال :

- « منتجه إلى النهر .. إلى النهر ! »

وفي الطريق استطاعت أن ترى سيارة إطفاء .. جميل !  
ما زال هناك أثر للحكومة هنا .. لكن ماذا بوسع الإطفائيين  
لشجعان أن يفعلوا ؟ لم يعد الأمر يتعلق بمواضع محترقة في  
المدينة ، بل مواضع من المدينة وسط الحريق ...

وفجأة ذابت عجلات السيارة فوق الأسفلت الساخن .  
ووقفت حيث هي ..

زحام الناس المتجهين إلى النهر .. هناك ما يشبه الموكب  
وسط هذا الزحام .. هذا غريب ! مشهد لا يمكن تفسيره  
أو فهمه ..

في مقدمة الموكب يمشى رجل بخطوات عسكرية وهو يحمل  
صورة عملاقة .. ويصيح في الناس :

- « هينوا لي مكاناً ! إتنى أنقذ القيصر .. إن ( هيروهيتو )  
ات !! »

فيفسح الناس له طريقاً في احترام ..

وما لم تعرفه ( عبير ) إلا بعد فترة هو أن الرجل هو  
( هيروهاتا ) الذي يعمل في مصلحة الهاتف .. حين وقعت  
الواقعة لم يجز في ذهنه إلا خاطر واحد هو أن ينقذ صورة  
القيصر من الحريق ، باعتباره رمز اليابان . دعك من عقيدة  
اليابانيين التي تقدس هذا الرجل باعتباره الشمس ذاتها وقد  
تحولت إلى إنسان ..

وكن عمل هذا الرجل - ( هيروهاتا ) - في مصلحة الهاتف  
يتركز في أنه حامى حمى صورة القيصر . موضوعه هي  
في موضع بارز من المصلحة في غرفة خاصة وكان



الموظفون يمرون بها في الأعياد لينظروا لها باحترام من دون أن يطيلوا النظر لأن هذا حرام لديهم ..

وكان أول ما خطر للرجل أن ينقذ صورة الإمبراطور من الحريق .. لاحظ أن عليه أن ينقذ شيئاً لا يحق له التحديق الطويل فيه ، مما يصعب الأمر .. اخترق النيران والدخان حتى وصل إلى القاعة وحمل الصورة .. وبيضاء بدأت تتكون حوله مظاهرة من الأهالي ..

لقد بدا لهم كأن هناك هدف لحياتهم ، وأن كل شيء ممكن مادام ( هيروهيرو ) لم يحترق ..

في الصورة يقف ( هيروهيرو ) حاملاً سيفاً من عهد الساموراي samurai الشجعان ، وقد غطي ذراعيه برقائق الذهب ، وارتدى ثياباً تشبه ثياب التشريفة عندنا .

- « هينوا لي مكاناً ! إنني أنقذ القيصر .. إن ( هيروهيرو ) أت !! »

ويمشي في الشارع وقد بدأت تتكون حوله مظاهرة صغيرة .. لقد نصحوه بأن يتجه إلى الغرب ، نحو الجبال ..

يشق طريقه وسط الزحام والدخان يتصاعد من شعره

وثيابه .. بينما يقف الجنود على الجانبين يحيون صورة الإمبراطور .. من حين لآخر يلتصق حذاءه بالأسفلت فيتوقف حتى يحررها ..

كلاب ملتصقة بالأسفلت تعوي وتحاول التحرر .. بشر يحاولون أن ينهضوا لحيوا القيصر ..

وقال قائل :

- « إلى نهر ( كيوبتشى ) .. من هناك تصل إلى الجبال .. » وهكذا مشى الجمع نحو النهر المذكور الذي تقود إليه حدائق ( سنقاي ) .. وكان هناك نحو عشرين ألفاً من البشر يحاولون النجاة بحياتهم .. لكنهم سمعوا النداء : القيصر قائم .. فبدعوا بفسحون طريقاً ..

وعلى ضفة النهر المواجهة رأى ( هيروهيرو ) ضابطاً يحاول إعادة تنظيم جنوده .. فصرخ فيه :

- « أرسلوا لي قارباً .. إنني أحمل صورة القيصر !! »

هنا رفع الضابط سيفه ملوحاً بالتحية ، وأمر جنوده بأداء التحية من الجانب الآخر ..

وسرعان ما عبر النهر قارب يحمل الضابط وجندياً ليحصلوا على صورة القيصر ..

## وصاح الضابط في المحتشدين :

« اجتهدوا ! سأقتل أى شخص يعترض سبيل القيصر »  
وسرعان ما ركب ( هيروهايتو ) القارب معهم .. وابتعد  
القارب عن الآلاف البكين المعذبين المتضرعين ..  
سوف يعبر القطار ويتوقف على بعد خمسة كيلومترات  
من مكان المأساة ، وفي المساء سيستقر القيصر فوق جبل  
( كاشوياما ) ...

شاهدت ( عبير ) هذا كله فتصارعها شعوران نقيضان :  
العجب من هذا كله وكل هذا التقديس لصورة ، بينما الناس  
يموتون ويحترقون فعلاً .. لا وقت لهذه المسخافات .. الشعور  
الثانى هو الإعجاب بإرادة هؤلاء القوم وإصرارهم على  
الحفاظ على رمز وجودهم . لقد تحولت هذه الصورة إلى الينبج  
ذاتها ، وصار من المحتم أن تتجو بأى ثمن .. إن التى عبرت  
النهر هى إرادة الحياة لدى اليابانيين . وهى التى لم تحترق  
واتخذت مكانها فوق الجبل ..

للأسف لا وقت للتأملات الفلسفية ..

الآن هى ترى نهر ( كوباشى ) أكثر هدوءاً بعدما رحلت  
صورة القيصر ..

لكنها ترى كذلك أن الأمر يشبه الكوابيس ..

آلاف الرجال والنساء يهرعون إلى هناك وهم  
يصرخون . هذا هو المنجى الوحيد على ما يبدو فى  
( هيروشيما ) كلها . وهكذا يتحول الأمر إلى صورة رهيبة  
من صور الطوفان أو لوحات ( الجرييكسو Greco )  
للكابوسية . لا أحد يعرف من هو ولا يأتى بعريه ولا بشيء  
إلا الهرب من الحريق ..

لم تعد ترى النهر .. لكنها على كل حال شقت طريقها  
بالأطفال وغمرتهم فى الماء بين الأجساد المتلاطمة .. تقسم  
إنها تسمع الماء يصدر صوت ( طش طش ش ) لدى ملامسة  
الأجساد الصغيرة ..

أطفال يبحثون عن أمهاتهم صارخين ، وأمهات يبحثن عن  
صغارهن صارحات ..

والغريب أن الكل كان يصرخ ولا يتكلم . لا أحد يتسائل  
عن حدث أو يحاول فهمه .. بدأت الأمطار تهطل .. فراح  
الناس يهتلون فرحاً بالخلاص القادم . لكن ( عبير ) بالطبع  
تسبقهم خبرة بعالم الذرة . إن هذه القطرات تعبر الغلاف  
الذى صنعته القنبلة ، وبالتالى تتحول إلى عصير  
مشع يهبط على الأرض ليزيد الأمور تعقيداً .. الآن ثيابها  
مبللة بالكامل . لكنه ( ماء ذرى ) لو لم نرد الدقة ..

إن من نجا من النار لن ينجو من الأمطار ..

وجاءت مجموعة من الجنود اليابانيين بسيارة لا تعرف كيف تحملت الحرارة ، وجروا إلى النهر حاملين مجموعة من الأطفال ، وألقوهم في الماء .. ثم إنهم رفعوا بعض الجثث الطافية وحملوها إلى سياراتهم ..

صاحت ( عبير ) وسط الضجيج :

« إلى أين تأخذون الجثث ؟ »

قال لها جندي احترق نصف وجهه :

« حفرنا بعض الحفر .. نلقى فيها الجثث بعد ما نرش عليها الجير الحي .. »

بينما تناول جندي آخر مكبر صوت ، وصاح بالطريقة اليابانية العسكرية التي تبدو كطلقات رصاص :

« سنحمل الجرحى في قوارب إلى جزيرة ( ميتي ) .. ليس لدينا عدد كاف .. فستختاروا أحوجكم لذلك .. »

قررت ( عبير ) أن هذه هي الطريقة المثلى لإلقاء الأطفال ، فهرعت إلى الجندي ..

« أين ؟ »

« عند فرع للنهر الآخر .. »

قالت وهي تشير إلى الأطفال :

« سيركبون معكم .. لا بد من إبعادهم .. »

قال وهو ينظر لها نظرة سريعة :

« وأنت كذلك .. لا بد من إسعاف سريع .. »

إسعاف سريع ؟ إنها سليمة تمامًا .. ماذا يقصد ؟

كانت بندقيته على كتفه فانتزع للسونكي . للسونكي البراق للشبيهة بالمرأة وناولها إياه ، وهز رأسه بإشارة ذات معنى . رفعته أمام وجهها لترى مآذها فلم تر نفسها ..

من هذا الشبح المخيف الذي يقف وراءها ويتأمل نفسه في انعكاس السونكي ؟ وسط اللخان ووهج النيران ينظر لها .. فلو رأيته في فيلم رعب لضمنت الأرق عدة أشهر . لكن ...

إنها هي !

لقد زال شعرها تمامًا ، بينما تحول وجهها إلى عجين أحمر يطل منه ثقبان هما عيناها ، وفمها ثقب ثالث يشبه فم الذبابة لو كان يبدو كهذا ..



الغريب أنها لم تشعر بالألم .. وتذكرت ما سمعته من الأطباء يوماً أن الحروق البالغة تحرق الأعصاب ذاتها فلا يبقى شعور بالألم .. الأغرب هنا أن الأطفال لم يخافوا منظرها ولم يصرخوا .. لقد أساهم الرعب أن عليهم أن يتصرفوا كأطفال .. وجهها تلاشى .. سيكون عندها وقت كاف فيما بعد كي تصرخ وتولول .. أما الآن فرصيد الأوجاع كبير جداً .. لا يمكن استيعابه بهذه السرعة ..

لهذا إذن لم تدمع عيناها حين بكت ..

أعانت له السونكى . ولم تقل شيئاً .. فافسح لها الطريق كي تتجه إلى القوارب ..

\*\*\*

إنه أغسطس ..

والقارب يشق طريقه وسط المياه تحت سماء سوداء مكفهرة . ووسط الجثث .. رحلة خيالية لا يمكن أن تكون خطرت لـ ( هوميروس Homer ) وهو يصف عبور الأرواح لنهر ( ستيكس ) إلى مملكة الموت ( هيدز Hades ) ..

فكرت في المرشد . ذلك الوغد الذى ألقاها فى هذا العالم

دون أن يمهدها له .. وأسوأ شئ أنها تعرف أن كل ما يدور من حولها واقع مرير . حدث بالفعل وليس وليد خيال مؤلف .. إن الحياة نفسها أكثر جرأة وأجمع خيالاً من الفنان .. فى الطبيعة يمكن أن يسقط نيزك من الفضاء الخارجى ليقتل الشرير ، بينما لا يمكن أن يكتب الأديب ذلك وهو يكمل قواه العقلية . فى الطبيعة يمكن أن تلقى أمريكا قنبلة ذرية على مدينة سكنية عادية لمجرد أنها تريد تجربتها ، بينما لا يجسر أديب مجنون على تخيل ذلك ..

كانت جالسة تحتضن الصغير البدين ( أكوكو ) الذى يرى أن فطائر السمك هى أجمل ما فى الوجود .. هنا سمعت الطفلة الجميلة ( هيروكو ) تنادىها فى وهن ..

« ماذا تريدين ؟ »

قالت ( هيروكو ) وهى تخلع حقيبتها عن كتفها بصعوبة بسبب الحروق ( ولم تلحظ عبير أنها كانت معها منذ الصباح ) :

« أعتقد أنني ساموت الآن .. »

« كفى عن الحماسة يا ( هيروكو ) .. »

لم تغلق الطفلة وناولتها الحقيبة وقالت :

« إن ( أكوكو ) جائع .. فى الحقيبة طعام إفطارى الذى

أعدته لى أمى صباحاً ولم أسه .. أرجو أن تعطيه إياه .. »

صاحت في جنون :

- « لن تكفى عن هذا ؟ »

- « قلت لك إننى ساموت الآن فلن أحتاج إليه .. »

وناولتها الحقيقة وهى تهمس :

- « لو قابلت أمى فلا تخبريها بأننى احترقت . »

نظرت ( عبير ) إلى الحقيقة فى يدها غير فاهمة .. ثم رفعت عينيها فوجدت أن الطفلة قد أغضت عينيها للأبد .. بهذه السرعة رحلت ( هيروكو ) الدمية المصنوعة فى اليابان والتي تعمل بالبطاريات الجافة <sup>(\*)</sup> ..

هنا انفجرت ( عبير ) فى البكاء . وأثار ذهولها أن الدموع الساخنة كانت تجرى على خديها .. يبدو أن قوة العاطفة مزقت الالتصاقات التى كانت تصد مجرى دموعها .. ودعت الله أن تموت الآن حتى لا تذكر هذا المشهد ثانية ..

\*\*\*

(\*) هذا المشهد المحطم للأعصاب ليس وليد خيال المؤلف . لكنه حدث حقيقياً

إنه أغسطس ..

كان نظماً يخنفها .. لا تعرف إن كان هو لظماً لم كل الأبخرة الحارقة التى ابتلعها ..

فتشت فى حقيبة ( هيروكو ) عن شىء يشرب .. بعض الماء أو العصير نعم . هذه زجاجة عصير .. رفعها إلى فمها وحاولت أن تشرب لكن دون جدوى .. إنها عاجزة عن الابتلاع تماماً .. لقد تحولت عضلات بلعومها إلى كتلة هلامية احتشظت بلسانها فلم تعد قادرة على ممارسة النشاط الانعكاسى المحموم المسمى بالبلع ..

قالت لها امرأة تجلس فى القارب :

- « صبراً أيتها التعسة .. سادبر الأمر .. »

وكانها طفل جعلتها المرأة تريح رأسها على فخذاها .. ثم أمسكت بثمرة طماطم ، وراحت تعصرها عصرًا من خلال الثقب الذى صار هو فم ( عبير ) .. ويبدو أن العصير وجد طريقه بقواتين الجاذبية ..

العصير يتسرب إلى جوفها .. ينعشها .. يرطبها .. إنها ستقاوم .. ستعيش ..

\*\*\*

## الجزء الثالث

### الصقور

« أبناء طيبة ..

يبدو أنه برغم كل شيء أحبهم ..

كانت أوامره هي أن يحرق عظامهم حتى تتفحم ..

حمل القنبلة وتركها تسقط

بعد هذا كان عليه أن يتقاضى المال ..

معاش بطل .. لكنه لم يلمسه ..

من العبث أن تسأله عن السبب ..

من العبث أن تسأله : لماذا ؟ »

أنشودة الميجورايتزلى ( أحد طياري القنبلة الذرية )

لشاعر جون بارينجتون وين

\*\*\*

## ٧ - ما هذا الذي فعلناه ؟

إيه أغسطس ...

في ساعة مبكرة من صباح السادس من أغسطس ..

يقف الميجور الأمريكى ( توماس فيريسي ) يدخل لفافة تبغ

الأخيرة قبل الإقلاع . الكل من حوله بهرع ويتشاجر ، يتعثر

ويرتبك ، لكنه بارد تملأ حتى لفافة التبغ لا تهتز بين شفتيه .

ربما كانت هذه من الأسباب التى رشحته لهذه المهمة

بالبذات ، فهو من أقوى الطيارين أعصاباً ورباطة جأش ..

أضف لهذا أنه - هو بالبذات - واحد من الذين اختاروا هدف

القنبلة ، بعد عدة ساعات من الطيران فوق اليابان كلها .

لا أحد على جزيرة ( تيتان ) الواقعة فى المحيط الهادى

يعرف السر . قليل جداً من العاملين بالقاعدة يعرف كنه

تلك القنبلة العامضة القادرة على إنهاء الحرب فى ثوان .

ثم جاء توجيه القائد الأعلى فى الثالث من أغسطس :

- « على الوحدة ٥٠٩ التابعة للكتيبة ٢٠ من القوات الجوية

الأمريكية أن تنقى القنبلة الذرية على إحدى المدن التالية :

( هيروشيما ) أو ( كوهارا ) أو ( نيهات ) أو ( ناغازاكي ) .. »



إن ( هيروشيما ) تقع جنوبى جزيرة ( هونشو Honshu ) اليابانية .. على خليج ( هيروشيما ) .. تم بناؤها من قرون على نلتا نهر ( أوتا ) .. وهى بكل الأحوال هدف مناسب .. فلم يكن أحد ينوى ضرب ( طوكيو ) ..

وبعد منتصف ليلة السادس من أغسطس انطلقت ثلاث قذفات قبل من طراز ( ب - ٢٩ ) نحو ( هيروشيما ) .. وكان الميجور ( فيريسي ) يارد الأعصاب يقود طائرة المقاتلة المسماة ( إنولا جاى Enola Gay ) وهو يلوك قطعة من اللان من الطائرتان الأخريان مهمتهما الحراسة والتصوير فقط .. إنه يحفظ اليابان والمحيط الهادى شهراً شبراً ..

الآن تبدو له السواحل اليابانية فى ضوء الفجر .. مساحات من الخضرة بارعة الحسن ..

يتذكر فى مرارة هجومًا مماثلاً حدث فى الفجر من قبل ، لكن المهاجم - بفتح الجيم - كان الأمريكين .. أسطولهم فى ( بيرل هاربور Pearl Harbor ) تلقى ضربة قاصمة عند الفجر .. لكن اليابان هذه المرة ستهزم بقتيلة واحدة تسقطها طائرة واحدة ..

وفى الطائرة التى تقوم بالتصوير قال المصور لمن معه :

- « لاحظوا يا سادة أن هذه اللقطات تاريخية ، وكل ما نقوله يتم تسجيله .. فحافظوا على لغتكم .. »

لأنها ستكون فضيحة لو احتوى هذا السجل التاريخى على أى من الـ F- words كما يقول الأمريكين ..

الثلاث تصنع مثلثاً وقمة هذا المثلث هى ( هيروشيما ) .. المدينة الناعسة التى تتأهب لاستقبال هذا اليوم من أغسطس فى تفلول .. صحيح أن الحرب تكور فى كل اليابان لكنهم ظلوا بمنأى عنها .. كانت هيروشيما واحة سلام بعيداً عن كل شيء .. بالإضافة إلى الستار الكثيف على الحقائق الذى أسدله الإعلام اليابانى ..

وفى الطائرات الثلاث شعر الطيارون بالزهو .. هكذا قالوا فيما بعد .. إنهم يتحكمون فى مصائر الآف الأشخاص .. إنهم ينعون دور الأقدار .. ضغطة على الزر تغير التاريخ .. وعدم الضغط على الزر يغير كذلك التاريخ ..

الآن يستعد ( فيريسي ) لضغط الزر ..

كان قد حسب مراراً شكل القطع الناقص الذى سترسمه للقتيلة وهى تهوى ، من ارتفاع عشرة آلاف متر وعلى بعد خمسة كيلومترات من المدينة .. سوف تلامس المدينة بالضبط فى المكان المطلوب ..

- « اضرب !! »

وفي طائرة التصوير همس أحد الجالسين وقد نسي الأمر  
بتهنيب اللسان :

- « انظر إلى تلك القذرة وهي تسقط ! »

والآن حان وقت ارتفاع الطائرة بسرعة كما طنب العلماء .  
والأصارت أولى ضحايا القنبلة !

دارت الطائرة حول ( هيروشيما ) والكاميرات تعمل  
بلا توقف ..

لقد خيم ليل الموت على الجزيرة والسحب السوداء تطبق  
قبضتها على المدينة البائسة .

وعلى الرغم منه همس أحد الطيارين بكلمة ظلت محفوظة  
في السجلات حتى اليوم وسمعتها العالم كله :

- « يا إله السماوات ! ما هذا الذي فعلناه ؟ ! »

\*\*\*

فيما بعد كتب أحد التلاميذ اليابانيين للميجور ( فيريسي ) يسته :

- « ألسنت نادماً ؟ »

قال الميجور في الرسالة التي رد بها :

- « كنت مكلفاً بمهمة استراتيجية وقمت بها على خير  
وجه .. لا تسألني هل أحس بتأليب الضمير أم لا فهذا  
موضوع يهمني وحدي .. لكنني أعرف حقيقة واحدة هي أن  
اليابان ظنبت الاستسلام بعد أيام من إسقاط القنبلة ، وقد  
زرت ( هيروشيما ) بعد ذلك وتأملت الخراب الذي أحدثته  
قنبلتى فسيطر على شعور واحد هو أنني قمت بمهمتي على  
خير وجه ممكن .. »

بعد هذا بثلاثة أيام ارتدى ( ليونارد شيشيري ) البريطاني  
الذي يعمل مع القوات المسلحة الأمريكية بذلة الطيران ،  
وركب طائرته متجهاً إلى اليابان .. هذه المرة ليكرر مع  
( كوهورا ) ما فعله ( فيريسي ) مع ( هيروشيما ) ..

غير أن العواصف في هذه المرة كانت تحيط بالساحل  
الياباني ، وصارت الرؤية شبه مستحيلة .. كانت الرحلة عسيرة  
بحق . وفقد كلا من الطائرت الثلاث المرافقة له .

هكذا صارت الساعة التاسعة صباحاً وهو عاجز عن  
معرفة أين هو ولا كيف يصل إلى ( كوهورا ) .

يتصل بالقيادة فيؤمر بأن يتجه إلى هدف ثان ..

## ٨- الحفل ..

( ناجازاكي Nagasaki ) ..

هكذا نجت مدينة من الدمار في اللحظة التي تقرر فيها مصير  
مدينة أخرى بهذه البساطة ..

لكن ( شيشيري ) لم ينس كل هذا الدمار .. وقضى حياته  
يعاني الاكتئاب ، ثم انفص في لندن محاولاً أن يطرد عن نفسه  
كل الأذى الذي أحدثه هو بغارة جوية واحدة ..

\* \* \*

إنه أغسطس ...  
لكنه ليس أغسطس ١٩٤٥ .. إنما هو بعد ذلك بأعوام ..  
إنه أغسطس ..  
لكنه ليس في ( هيروشيما ) .. بل هو في ( نيويورك ) ..  
بالتحديد في الحفل الذي نظمه مستشفى ( جبل سيناء ) في  
( نيويورك ) ..

الموسيقا تغزف .. هناك الكثير من المرسلين الصحفيين ..  
أضواء الفلاش في كل صوب .. قشدة المجتمع الأمريكي  
بأثرياته وبعض ممثلاته الحسنات .. هناك ضحكات وهناك  
مصافحات ..

وسط الواقفين ثمة رجل نحيل أصلع يبدو عليه الاكتئاب ..  
لايس ( رفعت إسماعيل ) .. اكتفينا من هذا العجوز في  
( فانتازيا ) .. هناك رجل آخر نحيل منكوش الشعر أشبه ..  
وجنرال فارغ الطول بادى الصرامة .. هناك رجل نحيل آخر  
يلبس قبعة ، وهو عصبي كثير الحركة لا يهدأ لحظة ..

ثم جاء صوت المنيع من مكان ما :



« سيداتى وساداتى .. فلترحب بالرئيس ( هارى ترومان Truman ) .. الرئيس الثالث والثلاثين للولايات المتحدة »  
التهبت الأكف بالتصفيق ، بينما تقدم الرجل إلى المنصة وهو يحيى الجميع ..

لا أعتقد أن رئيس الولايات المتحدة يمكن أن يحضر حفلاً فى ( نيويورك ) .. ولا أعتقد أنهم يعلنون ترتيبه فى كل مرة . فلربما كان الأمر لا يخلو من شطحات ( فاتنازيا ) .  
لكننا سنقبل وجوده على كل حال ..

لكن الحضور بدأ يتفرق من حول ( ترومان ) . ثمة جو من الكهرباء العامة ساد المكان ، وتهمس القوم :

« قد جاءوا ! قد جاءوا ! »

واندفع الجميع نحو المدخل ، ورفع الصحفيون آلات التصوير فوق الرءوس كعادتهم . وراحت أنوار الفلاش تلتصع بلا توقف حين دخل المكان الشاب اليابانى الأول . كان وسيماً فارغ القامة - على عكس ما يقال عن اليابانيين - وإن بدا مذهولاً مرتبكاً من كل هذا الزحام .. بعده دخل رجل يابانى أشيب ملتج له عين زجاجية لا تخطئها العين برغم أنها متقنة الصنع ..

بعد دقيقة دخلت فتاتان مرتبكتان .. أنت ترى الفتاة على اليمين .. لا داعى لأن أقسم لك إن هذه ( عبير ) ذاتها .. نحن نتعامل على أساس الثقة المتبادلة هنا .. هذه هى ( عبير ) ذاتها أو ( متشيكو ) لو كنت تفضل هذا الاسم .. إنها بارعة تحسن .. شقراء الشعر .. لم تعد تمت بصلة لتلك الفتاة التى كنتها يوماً ما ، ولكن هل تريد رلى ؟ أنا أعتقد أنها كانت أجمل فى صورتها الأولى ..

راحت الأضواء تسقط عليها مع الكثير من الـ ( كليك ) ( كليك ) وصوب نحو فمها أكثر من مكبر صوت ، وسألتها مذيعة شقراء منكوشة الشعر :

« ما هو شعورك بوجهك الجديد ؟ »

ابتلعت ( عبير ) ريقها وقالت الكلمات الإنجليزية التى قامت بحفظها ألف مرة :

« أنا أشكر رجلى البر والإحسان الأمريكىين ( كوزتيس ) و ( هيزرج ) على ما قام به من أجلى .. كما أشكر الجراح البارع الأستاذ ( بارسكى ) على ما قام به .. إن الشعب الأمريكى شعب طيب .. أريجاترووووووووه ! »

سألها شاب نحيل يملأ النمش وجهه :

- « هل وافق أهلك بسهولة على سفرك إلى الولايات المتحدة ؟ »

ابتسمت وهزت رأسها لأنها لم تفهم .. هنا مالت على أنها صديقتها اليابانية وترجمت لها ما قيل ، فقالت :

- « لم يعد لي أهل .. »

ساد الصمت المرتبك للحظة ثم سألتها الصحفية الأولى :

- « أهل بلدتك .. هل سرّوا للأمر ؟ »

- « بالعكس . كان الاعتقاد السائد أن أمريكا لا يمكن أن تقدم عملاً خيراً .. لهذا اعتقد الكثيرون أنها ستظاهر بعلاج ضحايا القنبلة ، لكنها في الحقيقة ستخطفهم وتتخلص منهم حتى لا يكون هناك شهود .. »

سألها الفتى بسرعة :

- « ورأيك الآن ؟ »

قالت وهي تبسم بخبث :

- « أنا أشكر رجلى البر والإحسان الأمريكيين ( كوزنيس ) و ( هيزج ) على ما قاما به من أجلى . كما أشكر جراح البرع

الأستاذ ( بارسكى ) على ما قام به .. إن الشعب الأمريكى شعب طيب .. أريجاتزوووووووه ! »

- « هل ستعطينى إلى ( هيروشىما ) لم تقمين فى الولايات ؟ »

هزت رأسها وقالت بركة :

- « أنا أشكر رجلى البر والإحسان الأمريكيين ( كوزنيس ) و ( هيزج ) على ما قاما به من أجلى .. كما أشكر جراح البرع الأستاذ ( بارسكى ) على ما قام به .. إن الشعب الأمريكى شعب طيب .. أريجاتزوووووووه ! »

كان الموجودون كلهم من ضحايا القنبلة الذين حملهم العم ( سام ) إلى أمريكا ليعالجهم .. إن اسمهم فى اليابان هو ( كيو ) أى ( المشوهون ) .. وما حدث بعد الحرب هو أن رجال أعمال أمريكيين جاءوا إلى اليابان ، وتحملوا نفقات سفر وعلاج بعض هؤلاء المشوهين فى الولايات المتحدة على أيدي جراحين بارعين . بل إنهم تحملوا نفقات سفر جراحين يابانيين إلى الولايات ليتعلموا أسلوبهم فى العمل ..

بالنسبة للعالم كان هذا دليلاً على أن أمريكا تشعر بتأنيب الضمير ..

بالتسبب لهؤلاء اليابانيين قياتهم كانوا يشعرون بأنهم يستعملون كأداة لتحسين صورة أمريكا .. وبالتسبب لهم لم يكن من الممكن نسيان ما حدث .. إن الأمر ينطبق عليه المثل الشعبي المصري ( بخاصمى فى شارع ويصالحنى فى عطفة ) .. بالتأكيد لن تمحو بعض جراحات التجميل تلك الندبة الهائلة التى ستظل فى روح اليابان وجسدها للأبد ..

لكنهم - اليابانيين - لم يكونوا يملكون الخيار .. هذه هى الفرصة الوحيدة التى انقبت لهم للعودة إلى الحياة ..

لقد ظلت ( عبير ) فى المستشفى أسبوعين كاملين بعد الانفجار . حيث كانوا يغذونها بأنبوب أنفى كان الإسهال يقتلها .. وفيما بعد عرفت أن الإسهال من علامات الإشعاع الشهيرة . لكنها قاومت . كانت تريد الحياة .

هاك فى المستشفى عاشت ورأت من المأسى ما يفوق الحصر .. ورأت صفوف الأمهات اللاتي يفشن عن أطفالهن وسط صفوف جنث الأطفال التى لم يعد لها مكان .

رأت الضحايا الذين سقط شعرهم وقضى الإشعاع على نخاع عظامهم ..

لم يبدأ سرطان الدم لكنه سيعلن عن نفسه بعد أعوام .  
واسوف يحصد آلاف الضحايا ..

أما أشد ما أثار دهشتها فهو أن دم الموتى لا يتخثر أبداً ..  
يظل النزف مستمراً مهما طال الوقت ..

لا تعرف متى ولا كيف حملوها على متن طائرة متجهة إلى الولايات المتحدة ، ولا كيف قوبلت فى المطار كأنها ملكة . ولا كيف مرت بعشر جراحات تجميل .. كل هذا كابوس طويل مرير ..

وفى يوم من تلك الأيام صحت من النوم وتأملت وجهها فى المرآة فرأت وجهها لايسبب الكوايس . لكنه - ببساطة - ليس وجهها .. لقد رسموا على وجهها المتفحم وجهاً جميلاً زائفاً ..

ومنذ هذه اللحظة صارت نجمة المجتمعات وظهرت صورتها على كل محلات وصحف العالم تقريباً .. حتى توقعت أن يتقدم الرئيس ( ترومان ) لطلب يدها . أو ربما يصنعها سيناريو فيلمها الجديد ..

هى الآن تكف فى هذا الحقل راسمة ضحكة صناعية على شفتيها . ولسناتها تتمع كأنه إعلان عن معجون أسنان .. معجون أسنان ( هيروشيما ) الجديد . بفضلها أنا واثقة من ضحكى .. أعلى نسبة من اليورانيوم ٢٣٥ بين أنواع معجون الأسنان فى السوق . يضمن لك تلوثاً إشعاعياً دائماً ..



في ركن القاعة ترى ذلك الرجل ذا الشياب السوداء ، والذي وقف في ملل يتسلى بالضغط على مؤخرة قممه الزنبركي ..  
تتك .. تتك .. تك .. تتك .. يمكن أن تفقد عقلك بسهولة ...

« بعد إنكم .. أريجاترووووووه ! »

وضعت كفيها مفا وحنّت رأسها .. ثم اتسحبت لتلحق بالمرشد ..

كانا الآن خلف ركن متوار من القاعة ، فثقت ركبتها ووجهت له ضربة قوية جداً في ركبته .. حتى إنه تكور حول نفسه يعوي ألماً وقالت :

« أنت تتسلى على أيها المسافل ! »

« أنت اخترت هذا يا فتاة .. أوووووه !! أنا لم اختره ! »

قالت وهي تضغط على أسناتها :

« أنت تتلاعب بالكلمات .. تخفي حقائق كذاك تتسلى بنصب الشراك للخداعية لي .. حين تكلمت عن قصة حب في ليبلان كان هذا آخر ما خطر لي .. »

« أوووه ' أي ي بي ! تجربة لقبلية لثرية في ( هيروشيما ) ..  
لا شيء مثل ( فانتازيا ) يتيح لك كهذه فرصة »

« أنا آتى لـ ( فانتازيا ) من أجل الخيال .. وليس من أجل مزيد من الواقع الأليم .. »

قال وهو ينهض والألم لما يفارق وجهه :

« ليكن .. ليكن .. لم تنته القصة بعد .. لكنني ألفت نظرك إلى أن هذا الحفل لا يوجد إلا في ( فانتازيا ) .. »

« إتنى لموت بهجة .. »

قال وهو يشير إلى الواقفين :

« مثلاً لن تجدى حفلاً اجتمع فيه الرئيس الأمريكي ( ترومان ) صاحب قرار إلقاء القنبلتين ، و ( أينشتاين ) و ( إيريكو فيرمي ) و ( زيلارد ) و ( أوبنهايمر ) وكل الطيارين الذين ألغوا القنبلة .. هذه من الأشياء التي تمنحها لك ( فانتازيا ) على مبدل Cadeau .. »

ضحكت في مزارة وقالت :

« أحرقت وجهي بالكامل وتحدثت عن الهدايا ؟ لقد خضت عشر جراحات تجميل كي تستطيع أن تراقى دون أن تصرخ .. »  
فجأة سمعوا صوت صراخ .. تصلب الناس . ومن أماكن لا تعرف أين كانت - برز حرس خاص للرئيس يحملون

مسدساتهم .. لم تكن السماعات في الأذن موجودة في هذا الزمن ، لكنهم استعاضوا عنها بالمزيد من التوتر ..

هناك شخص ما يقاوم في المنتصف .. هناك لكمات تطير في الهواء . هناك من يركل ومن يصفع وفي النهاية تراجع الدائرة قليلاً لتكشف عن شاب أمريكي يرقد على الأرض ، وقد قيدت يده إلى الخلف ، وهو يتلوى ككلب عتور ولا يكف عن الصراخ . فلو أنه وجد ساقها في طريقه لعضها .. لكن ثلاثة حراس جنموا عليه كالجلاميد ..

كان يردد في هستيريا :

« لا تجذب الرافعة ! لا تجذب الرافعة ! »

نظر المرشد إلى الوراء في أسي ، وهز رأسه قتلاً :

« لا مشكلة .. هذا بطل حرب كان المفترض أن يكرمه الرئيس ( ترومان ) اليوم .. »

الآن هم يجرون الشاب إلى الخارج فتسأل المرشد ، بينما الحفل يعود إلى مرحه السابق :

« قل لي .. ألا ترى أن هذه طريقة غريبة بعض الشيء لمعاملة بطل حرب ؟ »

قال في لامبالاة :

« ماذا يمكن عمله وقد جن تقريباً ؟ إن الميجور ( كلاودي ) الشهير بقسوته وحبهِ للتدمير كان قائد سرب منذ كان في الحادية والعشرون من عمره .. كان بارداً صلب الأعصاب حتى أطلق عليه أصدقاؤه اسم ( وجه البوكر Poker face ) .. أنت تعرفين أن لاعب البوكر يجب أن يبدو بارداً لا يستطيع اللاعبون معه أن يخمنوا إن كان يكسب أم .. »

« اختصر .. اختصر .. لست بهذا الغباء .. »

« ثم رشح كي يكون في طائرتي القنبلة الذرية .. على ( هيروشيمما ) وعلى ( ناجازاكي ) معاً .. وكان مسروراً معاً حقاً .. لكنه إذ عاد إلى وطنه ( تكساس ) بدا صموئلاً أميل إلى الاكتئاب . وقد أقامت له بلدته حفل تكريم .. وفي وسط الحفل اختفى قبل أن يلقي خطبته .. بحثوا عنه كثيراً جداً حتى وجدوه في النهاية نائماً على ظهره في مخزن قش ، وهو ييكي بحرقه .. »

« بعد هذا تزوج لكن زوجته شعرت بالذعر منه وطلبت الطلاق . كان يصرخ طيلة نومه : لا تجذب الرافعة ! لا تجذب الرافعة ! إن الأطفال يحترقون ! وكان ينهض في

## ٩ - من فعلها ..

كان الرجل العظيم واقفاً يحاول أن يحصى النقود التي معه .. وكان يعاني معاناة شديدة في العد كما هو واضح .. من العسير ألا تراهُ بشعره الأشيب المنكوش الذي يجعل رأسه عملاقاً ، والقلبيون في فمه ، وثيابه غير المهندمة .. دعك من عينيهِ الواسعتين المندھشتين اللتين لم يجد فنان المؤثرات الخاصة (رامبالدي Rambaldi) خيراً منهما لتكونا عيني كائن الفضاء البريء المندھش المدعور ET ..

دنت منه فكف عن العد ، ووقف ينظر لها ..

قالت له - لقد صارت تجيد الإنجليزية تماماً الآن - في عتاب :

- « لماذا فعلت ذلك يا بروفيسور (أينشتاين) ؟ »

قال لها مرتبكاً :

- « لو كنت تتحدثين عن القنبلة الذرية فلاذنب لي في هذا الموضوع كله .. إن رجل الشارع يعتقد أنني مخترعها ، لكن الحقيقة هي أنه لا دخل لي بهذه القصة أصلاً . كل ما حدث أننا كنا جميعاً من العلماء اليهود الذين هربوا من النازية

منتصف الليل ليقول إنهم يريدونه في (هيروشيما) ليحقق فيما أحدثته القنبلة من دمار .. نالت الزوجة الطلاق بينما ظلت حالته العقلية تتدهور .. فصل من القوات المسلحة ومنح معاشاً سخياً .. لكنه لم يلمسه قط .. فضل أن يسرق المتاجر بينما حسابه في المصرف يتضخم .. كان يعتبر أن هذا المعاش هو ثمن أرواح أطفال (هيروشيما) و(ناجازاكي) .. وقرر أنه لن يلمسه أبداً ، وقد حاولت الحكومة الأمريكية أن تتجاهله وترفق به قبر الإمكان حتى لا تسبب فضيحة .. لكن الحقائق تغلبت أخيراً .. هكذا تحول بطل الطيران إلى لص عادي يلاحقه رجال الشرطة في كل مكان .. »

قالت في تشف :

- « هذا هو ثار (هيروشيما) .. لكني - بشكل ما - أجد أن هذا الرجل أشرف ممن أرسلوه ليحرق أطفالنا .. لقد عذبونا كثيراً جداً .. أكثر مما يتصور عقل .. »

قال وهو يتعد مسرعاً :

- « لكن كيف حالك الآن ؟ لقد قتلت المعاناة وبدأ المرح . سلام !! »

ومن جديد وجدت أنها تقف وحدها وسط الجمع . وقررت أن تجد (أينشتاين) لتتكلم معه .



وجاءوا إلى الولايات المتحدة .. كنا نرتجف هلعاً من فكرة أن يلتهم ( هتلر ) أوروبا ويجيء إلى أمريكا .. وكان (زيلارد Szilard) العالم المجرى يحمل كابوساً مقيماً .. كان يعتقد أن ( هتلر ) سيتوصل إلى القنبلة الذرية وبها سيحكم العالم . لهذا حاول إقناع الأمريكيين بخطورة الأمر : لو كانت القنبلة الذرية ممكنة - وهي كذلك - فلا بد أن تكون أمريكية .. وقبل الكثيرين من المسؤولين دون جدوى .. ثم جاعنى وشرح لى نظريته التى بدت لى ممكنة ومنطقية .. هكذا كان دورى هو أن كتبت إلى الرئيس (روزفلت Roosevelt) لأكى الفكرة .. وبالطبع أعطى لسمى للخطب ثقلًا خاصًا مما جعله يتبنى المشروع . لكنه لم يعيش ليرى تنفيذه .. »

- « إذن أنت نقى الضمير من هذه التهمة ؟ »

نظر لها بعينه الواسعتين الصادقتين ، وقال :

- « طبعاً هناك ليال أبكى فيها ، ومازلت أشعر بالارتباك والذنب حين أقابل أحد اليابانيين مثلك .. ولم أكف لحظة عن الدعوة إلى وقف التجارب النووية ، لكنى أقولها مستريحاً . لا محل لى فى هذا المشروع .. ولو كنت ممن صمموا القنبلة لقتلتى الهم .. »

ولبتعم فى مرارة وقال :

- « حين عرفت بمدى ما أحدثته القنبلة من دمار قلت : ليتنى كنت سمكرياً أو صانع أقفال بدلاً من عالم طبيعة .. لطريف أن نقلة صناعي الأقفال فى (نيويورك) شعرت بالفخر من مقولتى هذه ، وضممتى عضواً فخرياً إليها .. »

لم تبسم (عبير) وهمست وهى تبتعد :

- « إذن يجب أن لرى (زيلارد) .. »

\*\*\*

كان (زيلارد) هو ذلك الرجل الفحيل الأصلع حزين النظرات ، وكان يقف مع امرأة مجرية يتحدثان حين بنت منه (عبير) .. وبهدوء سألته :

- « دكتور (زيلارد) .. لماذا فعلت ذلك ؟ »

أخرج منديلاً وجفف العرق على جبينه وقال :

- « القنبلة ؟ لاحظت أننى لم أتخذ قرار إلقائها بل فعلت ما بوسعى كى أمنع هذا .. إلى حد أن المخابرات الحربية الأمريكية اعتبرتني خطراً على الأمن .. »

- « لكنك صنعتها . »  
[ م ٧ - فانتقزها عدد (٣٦) حب فى أغسطس ]

- « قدمت أهم النظريات التي قادت لصنعها .. كلن معي زميل عظيم هو ( فيرمي Enrico Fermi ) الذي طور معي أول تفاعل متسلسل في المختبر عام ١٩٤٢ إن فريق الباحثين في ( شيكاغو ) قد قدم أهم النظريات التي تطلبها صنع القنبلة ، لكني أكرر : لم أقبل قط فكرة استعمالها .. »

قالت في غيظ :

- « لكنك صنعتها .. »

- « كنت خائفاً من ( هتلر ) .. كلنا كنا كذلك . وكنت مؤمناً أن الألمان قاب قوسين أو أدنى من اكتشاف هذه القنبلة ؛ لذا سميت في لهفة إلى أن تمتلكها الولايات المتحدة .. وقد اقترحت أن تظل مضافاً لقهر ( هتلر ) لو فكر في استعمالها ضدينا . ثم انتحر ( هتلر ) وخرجت ألمانيا من الحرب .. ظلت اليابان هي عدونا الوحيد ، لذا اقترحت أن يتم إلقاء القنبلة فوق جبل ( فوجي ياما ) حيث لا بشر .. إن الرسالة سوف تصل إلى اليابانيين كاملة لكن من دون أن تموت قطرة .. اقترحت كذلك أن يتم إخطار اليابانيين بموعد تفجيرها في جزيرة نائية بالمحيط الهادي ، حتى يروا بأنفسهم ما يمكن أن يحدث لهم . لكن لم يصغ لي أحد . واعتبرني الجيش الأمريكي عميلاً

أو مخرباً ، حتى إنهم كانوا يراقبون الذهاب الذي يطير حولي .. وكنت أعيش في بنائية لا يمنعها من الانهيار إلا كثرة أسلاك أجهزة التنصت فيها .. هذه الأسلاك كانت تؤدي نفس عمل أسياخ الحديد .. »

نظرت له مفكرة . إن هذا برىء آخر .. على الأرجح سيتضح أنها المسنولة عن قبيلة ( هروشيما ) .. هي وحدها ..

سألته في برود :

- « إن هك من صنع القنبلة إذا سمحت لي .. إنها لم توجد نفسها منذ الأزل .. »

أشار إلى نهاية القاعة إلى حيث كان ذلك الرجل النحيل كثير الحركة ذي القبعة ، يقف مع الجنرال الصارم الذي يحلق شعره بتلك الطريقة العسكرية القصيرة التي يطلقون عليها Crew Cut ( قصة الفلاحين ) ..

هذا هو ( أوبنهايمر Oppenheimer ) مع الجنرال ( جرو ) .. باختصار هذان هما الأخوان ( قبيلة ) .. »

دون أن تتكلم فارقته كالمسحورة متجهة نحو قاتليها .. نظر لها الجنرال بكرامية .. بعد كل هذه السنين هو لا يتحمل

اليابانيين ، ويطلق عليهم باحتقار لفظ japs وهو لفظ يبدو لنا بريئاً لكن فيه راحة لرداء لا يفهمها سوى الأمريكيين ..

حيتهما في فتور ، وسألت الرجل النحيل الذي هو (أوبنهايمر) :

- « لماذا فعلت ذلك يا د. (أوبنهايمر) ؟ »

قال لها بارتباك وهو ينزع قبعته :

- « القنبلة ؟ حسن .. لقد بدأت من حيث بدأ (زيلارد) .. كنت أخاف أن يسبقنا (هتلر) إليها .. »

- « لكن (هتلر) مات وتراجع (زيلارد) .. »

- « عندها كان علينا أن نثبت أننا لم نصنعها لأننا نكره (هتلر) بل لأننا نحب أمريكا .. أنت تعرفين أن أكثر من صنعوا القنبلة - بمن فيهم أنا - علماء يهود .. كنا نكره (هتلر) كالطاعون . وفي هذه النقطة تفتقا مع الحكومة الأمريكية ، فلما مات (هتلر) راح (زيلارد) يتلوى بأن توقف مشروع القنبلة ، لكن كان على أن أثبت أننا نصنعها لمصلحة أمريكا وليس بسبب كراهيتنا الشخصية لـ (هتلر) .. صار من الواجب علينا أن نصنعها ونجربها وأن نتجح .. »

ثم تبادل نظرة فخورة مع الجنرال وأردف :

- « صرت مكلفاً بمشروع (مانهاتن) - الذي هو صنع القنبلة - وقد قمت بتكوين فريق عمل .. وقد أعجب الجنرال بطريقتي المنظمة شبه العسكرية في تنفيذ الأوامر .. وبينما مدينة سرية في (لوس ألاموس) وسط الصحراء .. هناك واصلنا أبحاثنا حتى نجحت .. »

قال الجنرال في صرامة :

- « كنت أنا المشرف على الجانب العسكري .. لم أشعر قط براحة مع كل هؤلاء العلماء باستثناء (أوبنهايمر) .. كنت أعتبر أننا نستضيف أكبر مجموعة مخابيل عرفتهم أمريكا .. لكن هؤلاء المخابيل استطاعوا أن يصنعوا القنبلة من فكرة وهمية .. لو استطاعوا أن يفجروا قنبلة إلى الداخل بدلاً من الخارج لبدا التفاعل المتسلسل . تصوري هذا السخف .. »

قال (أوبنهايمر) وعينه تدمعان تأثراً :

- « أجرينا أول بروفة للانفجار .. رأينا كيف ساد الصمت ، ثم تعالى الوميض المرعب .. بعدها ارتفعت سحابة عش الغراب تعلن بداية العصر النووي .. عندها قال الجنرال يصف المشهد .. هل تذكر يا جنرال ما قلته ؟ »



- « إنها أكثر سطوعاً من ألف شمس .. الآن فقط انتهت الحرب .. »

- « وقلت أنا بعد انتهاء الانفجار : أنا قد صرت للموت .. مدمر العالم .. إنها صلاة هندية قديمة .. هل تعرفونها ؟ لحظتها قال لي صديقي الذي كان يراقب المشهد : لقد صرنا جميعاً أولاد ( .... ) من هذه اللحظة .. »

قالت ( عبير ) في غيظ وهي تتحسس وجهها :

- « هذه ذكريات مؤثرة للغاية .. لكن ألم تتخيل لحظة ما يمكن أن يحدث لبشرى يقف في قلب هذا الانفجار ؟ هل فكرت كيف يمكن أن تؤثر هذه الألف شمس في أطفال المدارس ؟ »

في صرامة قال الجنرال وهو يدفعها بيده :

- « اسمعي يا فتاة .. رأيك لا يهمنى .. هذه القنبلة قد هشمت إرادة اليابان التي لا تنهشم .. وقد وفرت علينا حياة مليون جندي أمريكي على الأقل .. لقد أنهت الحرب ، لهذا اعتبرها أعظم عمل سلمي في التاريخ ! »

ثم توجهت عصبته نحو ( أوبنهايمر ) فقال وهو ينقر بإصبعه على صدره في لزراء :

- « حتى هذا المتخاذل ليس صافى النية إلى هذا الحد .. إنه يبذل ما بوسعه كسى يعرقل مشروع إنتاج القنبلة الهيدروجينية التي تعتبر قنبلة ( هيروشيما ) بالنسبة لها نوعاً من مفرقات الأطفال .. »

قال ( أوبنهايمر ) وقد بدا أن الوخر يؤلمه :

- « لقد انتهت الحرب يا جنرال .. لا جدوى من صنع قنبلة أكبر وأخطر لأن القنبلة الذرية لن تستعمل ثانية .. لا جدوى من أن تستعمل ثانية خاصة والسوفييت يعرفون الآن طريقة صنعها .. بل صنعوها فعلاً .. »

في لزراء قال الجنرال :

- « أصدقاؤك السوفييت ! هل تجهل أن الكلام قد كثر من حولك بصدد وطنيتك وولائك للولايات المتحدة ؟ هل تجهل أن الكثيرين يطالبون بإيقافك عن العمل ؟ يقولون إن لك ميولاً شيوعية واضحة وإليك قد تباع سر القنبلة الهيدروجينية للسوفييت متى صنعناها ؟ »

قال ( أوبنهايمر ) مدافعاً عن نفسه وقد تحشرج صوته بالبكاء :

- « كنت أميل إلى الشيوعية في شبابي .. لكن هذا انتهى

منذ زمن .. ثمة مقولة شهيرة تقول : من لم يعمل إلى الشيوعية في العشرين فلا قلب له . ومن مال إلى الشيوعية في الأربعين فلا عقل له !!

- « تهمة الشيوعية تكفى لتلويثك إلى الأبد .. »

كنت ( عير ) تفهم جيدًا هذه المواقف .. أنت معنا وإلا فانت ضلنا .. ( أوبنهايمر ) لا يريد أن يصنع القنبلة الهيدروجينية فقد اكتفى من الألم البشري وروية الجثث المحترقة .. عندئذ يتهمونه بعدم الولاء لأمريكا ..

انسحبت مبتعدة بينما الجدل دائر بين الرجلين .. سوف يظل ( أوبنهايمر ) مهددًا تحوم حوله علامات الاستفهام حتى آخر يوم من حياته ..

وكان الرئيس ( ترومان ) يقف مع إحدى الصحفيات ..

دنت منه وهزت رأسها ، فشرق وجهه واصبح من عويناته وهتف بطريقة دبلوماسية سريعة :

- « جميل .. جميل .. أنت إنن اليابانية التى استعادت جمالها بفضل جراحي أمريكا ؟ »

ابتسمت وقالت بتهكم :

- « لم أستعده .. أعطوني جمالاً آخر !! »

وتذكرت - بصفتها ( عير ) - أغنية قديمة لـ ( عدوية ) تقول : « شوفلى جمال .. على قد الحال .. يعوض صبرى إلى طال .. » .. كلن ( عدوية ) كلن يرثى حالها .. الحقيقة أنها كانت تحب أغانيه لكنها لم تعترف لنفسها بذلك قط ..

ثم بلهجة لا تخلو من الكياسة سألته :

- « سيدى .. لم أصدرت أوامرك بالقاء القنبلة ؟ »

طلب من الصحفية أن تبتعد ، ثم نظر إلى ( عير ) مليًا وقال :

- « ساكون صريحًا معك يا أنسة ؟ »

- « ( متشيكو زاكو ) .. »

- « ( متشيكو ) كل اسم من أسمائكم اليابانية هذه يبدو كأنه مصطنع من مصطلحات ( الكاراتى ) .. ساكون صريحًا معك .. لقد كان بلدك موشكًا على الاستسلام وكانت هناك مفاوضات سرية تتم من وراء الستار .. اعتقد أن الحرب كانت موشكة على الانتهاء .. »

- « أى أن خطر فقد مليون جندي أمريكى فى أثناء غزو اليابان أكذوبة ؟ »

ضحك كثيراً حتى دمت عيناه وقال :

- « بالطبع لكننا لا نطلق على هذا أكذوبة .. نطلق عليه (دعاية إستراتيجية) .. جنرال (إيزنهاور) قائد العمليات قال في أكثر من تصريح صحفى إن هذا رقم مبالغ فيه .. »

اتسعت عيناه ذهولاً .. لم تصدق ما تسمعه :

- « وبرغم هذا .. برغم هذا أقيم القنبلة ؟ »

قال وهو يجفف قطرات العرق التي نمت على جبينه :

- « أنت لا تفهمين .. لقد كلفتنا القنبلة الكثير من الجهد والوقت والمال وكان لابد أن تنفجر .. لابد من تجربتها على بشر .. كان هذا أقوى منا .. ثم إن الأمريكيين كانوا متعطشين إلى الدم الياباس بعد هزيمة (بيرل هاربور) ولم يكن من حقى أن أحرهم هذه المتعة .. بالإضافة إلى أن القنبلة كانت الرسالة الأخيرة لعالم ما بعد الحرب .. هناك قوة كاسحة شديدة البطش اسمها الولايات المتحدة .. فلتراجع الضباع إلى جحورها .. الضباع العجوز التى ولى عهداً مثل (إنجلترا) و(فرنسا) .. والضباع الشاب التى تحاول أن تستأسد مثل الاتحاد السوفيتى .. لقد كانت القنبلة بمثابة الإعلان عن ميلاد إمبراطورية جديدة .. »

جف ريقها وشعرت بأنها تتكلم بصعوبة بالغة :

- « و .. وكيف استقبلت خبر سقوط القنبلة ؟ »

- « كنت وسط مجموعة من البحارة حين وجدت البرقية فى يدي ، فصحت : لقد ألقينا أول قنبلة نرية على اليابان .. يا لولا .. لنم عقدون إلى الوطن ! هكذا ساد المرح وتطايرت القبعات فى الهواء ! »

ثم راح يفكر فى شروء :

- « كل على أن لوتب عالم ما بعد الحرب .. غزو (كوريا) . مشروع (مارشال) .. لقد وضعت أولى اللبئات فى صرح .. ولكن .. أين أنت ؟ »

لأن (عبير) كانت قد تركته يتكلم وابتعدت ..

\*\*\*



## الجزء الرابع

### المكثومون

« اليابانيون أسعد حظاً لأنهم خسروا الحرب .. فالنصر  
في ميدان كهذا هو درس قاس .. »

( أينشتاين )

\*\*\*

## ١٠- والحياة تستمر ..

به أضعس ..

واسمها ( متشيكو زلكو ) ..

لم تعد رقيقة دقيقة أنيقة كالزهرة .. لقد تقدمت في السن  
لكنك تستطيع أن تقول باطمئنان إنها كانت جميلة يوماً ما ..  
لم تعد لها غملازان لأنها تلاثيتا تحت طبقات مزرعة  
الجلد أولاً ، ولأنها لم تعد تضحك ..

مدرسة أطفال هي ..

خير مدرسات الأطفال هي من تملك كل صفات الطفولة ،  
وقد كانت طفلة عجوزاً ، لهذا كانوا ينادونها بلاتحفظ  
( متشيكو ) ..

تمشي في الشارع متجهة إلى المدرسة .. بائع البطيخ  
الشاب الذي وقف يرص شراجه الحمراء التي يكفي مرآها  
ليطفر ظمأك يصبح من بعد :

.. « صباح الخير يا سيدة ( متشيكو ) .. »

ثم يتذكر خطأه فيصحح كلماته :

- « يا آنسة (متشيكو) .. »

إنه يعرفها .. يقولون إنها كانت من ضحايا القنبلة ، وإنها تلقت علاجاً كثيفاً في الولايات المتحدة ، لكن هذا كان منذ عشرين عاماً .. لا أحد يتكلم عن هذه الأمور ..

وباتعة الزلاوية العجوز الكفيفة التي احترق نصف وجهها تصبح فيها :

- « هل تذوقين الزلاوية يا (متشيكو) ؟ »

- « لم تعد صحتى تسمح بهذا يا (كوتيكو) .. »

وتواصل السير .. إن خطواتها ثقيلة رصينة متأملة كأنها خطوات راهب بوذي يخرج من منمكه في (الهيمالايا Himalaya) ليتأكد من أن العالم مازال كما هو ولم يختف ..

لقد تغيرت (هيروشيما) بالكامل . مدينة أخرى حديثة هي . وقد امتلأت بالسياح الذين لا يكفون عن تصوير كل شيء في نهم ..

منذ أغسطس ١٩٤٥ واسم (هيروشيما) قد حذ في تاريخ البشرية ، إلى جوار أسماء البلدان المنكوبة الأخرى

مثل (جيرونيكا) و(وارسو) و(ناجازاكي) .. درجة النكبة تختلف لكن يمكن القول باطمئنان إن (هيروشيما) كانت الأسوأ حظاً ..

وتدخل إلى المدرسة حيث الأطفال يجلسون على الأرض إلى تلك المنضدة الطويلة التي وضعت عليها عدة مزهريات . أمامهم ألواح كتابية وقصص أطفال متناثرة هنا وهناك .. وعلى الجدار صورة صغيرة للإمبراطور ..

قالت لهم وهي تجلس على الأرض في الوضع المنتصب الياباني الشهير :

- « اليوم سأخبركم عن أحمل شيء في العالم .. »

- « ما هو يا (متشيكو) ؟ »

.. « خمنوا .. »

قالت طفلة حسناء دقيقة :

- « الأراب البيضاء .. »

- « لا .. هناك ما هو أجمل .. »

قل طفل (ملفظ) بشدة :

- « أطباء الأرض .. »

- « لا .. »

طفل ثالث :

« بيت الجدة .. »

« لا .. »

« إذن ما هو يا ( متشيكو ) ؟ »

قالت وهي تنظر إلى العالم حيث بدا من النافذة :

« إنه .. إنه السلام .. »

\*\*\*

لشد ما تغيرت ( هيروشيما ) ..

لم يعد مصرف ( زديوتومو ) ولا مبنى ( فوكوزايماي )

موجودين .. لم تعد هناك إدارة غاز ..

اليوم تجد في المكان ذاته حديقة شاسعة فيها نصب

تذكاري ، اسمها ( حديقة الحرية ) .. هناك مبنى تعليمي

فاخر عملاق اسمه ( معهد الذرة ) .. مستشفى كبير

هو مستشفى ( زيمبا ) ..

لا توجد آثار تخبرك بموضع سقوط القنبلة ، لكنك تستطيع

أن ترى ظل الحارس الذي اتطبع على الأسفلت لحظة سقوط  
القنبلة .. وظل من يومها هناك .. ترى فيم كان يفكر في  
تلك اللحظة ؟

كانت تمشي هناك كل يوم .. شاعرة بأنها لا تنتمي  
لشيء ..

عالمها القديم توارى .. الآن المسرح يعد لعالم جديد ..  
يشبه الأمر ما يحدث في المطاعم حين تفرغ من وجبتك ،  
فتبدأ إجراءات إعداد المنضدة لزبون جديد لم يأكل بعد ..  
أنت جالس والنادل يحوم حولك .. يتصرف بتهذيب لكنه  
لا يكف في كل لحظة عن التخلص من اثارك .. عن إعداد  
المكان لمن يأتي بعدك .. يرفع الطبق الأخير .. يمسح  
المنضدة .. يفرغ منفضة التبغ .. يصلح من وضع  
المقاعد .. أنت نلت فرصتك كاملة وقد انتهى دورك .. حان  
وقت الرحيل ياسيد .. أرجو أن نكون قد رقبالك ..  
( عبير ) لا تعرف كيف تقول ، إنها لم تحب المطعم ، وإنها  
لم تشعر لحظة بأنها نالت ما تستحق فيه ، وإن الطبق  
الأساسي كان ساخناً ملتهباً أكثر من اللازم حتى شوهها  
بالكامل ..

فجأة رأت ذلك الرجل ..



إنها تعرفه .. رجل ياباني أشيب له عين من زجاج .. لقد  
قابلته في ذلك الحفل الذي ضم ( أوبنهايمر ) و ( ترومان ) ..

هو مثلها من ( الكيبو ) وقد فعلت الولايات المتحدة  
ما تستطيع كي تعيد له شكله الآدمي ، لكن العيون لا تباع في  
محلات البقالة .. « تلك أشياء لا تشتري » .. قالها الشاعر  
العظيم ( أمل دنقل ) بعد هذا اليوم بعقد من الزمن تقريباً ..

الرجل يمر جوار سور ( معهد القرية ) ..

يرمق الحديقة في الفتان .. يتهدد ..

إنه أغسطس .. كان هناك أغسطس مماثل في الجمال منذ  
عدة أعوام . يبدو أن جمال الفصول دوري ..

فجأة رآته ينظر في حذر من حوله .. ثم إنه راح يتسلق  
السور الحديدي بخفة لا تناسب منه ..

يركض وسط الورود .. يتعثر .. ينهض .. يمسك ..  
ينهض .

في النهاية وقف وفي يده شيء يختلج . يرمقه في  
حنين واضح بعينه الوحيدة السالمة ..

إنه بيكي ..

ويدورها تفجرت في البكاء ...

يستوقفه الحارس ويعتصر ذراعه في قسوة :

- « أنت تتعدى على أملاك الدولة أيها السيد المحترم .  
أي أنك تتعدى على أرض الإمبراطور ! »

قال الكهل وهو يحاول التملص :

- « إنها فراشة أيها الحارس المحترم .. فراشة لا أكثر ..  
لست لصاً ولا سفاهاً .. »

أطلق سراحه وهو يغمغم :

- « نعم .. نعم .. أعرف أنك كنت من ضحايا ذلك  
اليوم .. من حقك أن تتعم بفراشة . فلا أحد يملك  
الفراش .. »

ويخرج الرجل من الحديقة وهو مازال يحمل في  
الفراشة ..

تستوقفه هاتفه :

- « معذرة .. لكن لماذا قطعت ذلك ؟ »

نظر لها طويلاً في حيرة ثم غمغم :

- « قبل القنبلة بأيام رأيت ذات الفراشة الغريبة جداً في حديقة مصرف (زديوتومو) ، وأهديتها لحبيبتى .. »

- « وبعدها ؟ »

- « أحسبها ماتت . أحسبني مت أنا كذلك .. »

نظرت له طويلاً وراحت شفتها السفلى ترتجف :

- « أنت .. أنت (توشيو) ! »

هنا فقط بدأ يفهم ما هناك .. إنها تبدلت كثيراً جداً لكن روحها تطل من عينيها روح لها ضفيرة طويلة وغملاًتان .. لا أعرف كيف ..

- « أنت (متشيكو) !؟ »

- « يالك من أحمق ! »

\*\*\*

إته أغسطس ...

وحكايا الحب لا تنتهى حيث وقفا هناك جوار معهد الذرة بيكيان لا تفترق عيناهما .. الفراشة في يدها ترفرف برفق وقد نسيت كل شيء عن العالم ..

قال لها وهو يرتجف :

- « رأيتك مراراً في الولايات المتحدة ولم أتصور لحظة أنك ذات الفتاة التى أحببتها .. إن اسم (متشيكو) شائع .. وقد كان الأمريكان يعزلوننا عن بعضنا كفنران التجارب .. لم نتبادل حديثاً منفرداً مرة واحدة .. »

- « وأنا رأيتك مراراً ولم أتصور أنك هو أنت .. »

- « لم تعد نملك ذات الوجهين ، وربما لا نملك ذات الروحين .. »

ونظرت إلى الأفق حيث يلهو بعض الأطفال ، وهم يعرفون يقيناً أنه لن تهوى عليهم قبلة نووية :

- « وجدت جثة محترقة يبدو أنها كانت ترتدى عوينات مذهبة الأطراف .. »

- « كل اليابانيين في تلك الأيام كانوا يضعون العوينات مذهبة الأطراف .. كانت هذه الموضة وقتها .. »

وأردف وهو ينظر لبعيد :

- « لقد خرجت لعلنى في ذلك الصباح ، وأغلقت باب البيت .. وفجأة وجدت الروع والنيران وفي لحظة لم يعد لدى وجه .. »

وأدركت أنني فقدت عيني اليمنى .. هناك قطعة خشب  
اخترقتها أثناء العاصفة التي هبت بعد القنبلة .. هكذا مشيت  
أترنج وأصطدم بقلنس حتى وجدت جندياً يجرني جرأً إلى النهر ..  
فقدت وعي في قارب وأفقت في المستشفى .. بعدها جاء  
رجال البر والإحسان الأمريكيون يبحثون عن ضحايا .. وقد  
وقع الاختيار على ..

ثم لهتسم بمرارة ..

« لا أعرف شيئاً عن أهلي .. »

صمتت للحظة ثم همست في حزن :

« ( هيروكو ) ماتت .. من حقدك أن تعرف هذا .. »

نظر لها للحظة والتمعت دمعاً في عينه السليمة ثم  
همس :

« هل تعذبت كثيراً ؟ »

هنا يأتي دور الكذب .. أحياناً يكون مفيداً :

« لا .. لقد ماتت لحظة سقوط القنبلة .. لم تعرف

ما حدث قط .. »

بدا عليه سرور يثير الشفقة .. كأنه من الطبيعي جداً أن  
يموت الأطفال محترقين .. فقط لنأمل ألا يكونوا تعذبوا ..  
قالت له بصوت مبحوح وقد عادت ذكرى اليوم الرهيب  
إليها حية ..

« لقد انتهت آلامك .. »

ثم فطنت إلى أنه يوارى أنفه بين كفيه .. حسبته يبكي  
بحرقه ، ثم فطنت إلى أن الدم يلوث راحتيه ..

« ماذا دهاك ؟ »

أخرج منديلاً وراح يمسح به الدم :

« سرطان الدم .. إن مخالف الشيطان لا تتخلي عنك  
بهذه السهولة .. »

« سرطان دم بعد كل هذه الأعوام ؟ »

« ماذا تظنين ؟ هذا هو الوقت المناسب كي يكون التلوث  
الإشعاعي قد فرغ من مهمته الشاقة الشيطانية .. هناك  
خمسون ألفاً ينتظرون الموت بسرطان الدم أو النخاع خلال  
الأعوام القادمة .. إنني أتلقى العلاج الكيماوي في مستشفى  
( زيمبا ) .. لم أمر من هنا مصادفة .. »



مدت يدها برفق وتحسست وجهه .. خيط الدم مازال  
ينزف من منخره ، فمسحته برفق وقالت :

- « لن أتخلي عنك هذه المرة .. سأكون معك في كل  
خطوة تخطوها .. »

ثم همست :

- « لقد جاءت القنبلة لتسلبنا حياة كانت من حقنا .. كنا في  
عمر الأزهار حين تحولنا إلى معوقين ، نقضى بقية حياتنا  
على منضدة الجراحة وفي عيادات الكيماوى .. لكنها لن  
تسلبنا روحينا .. »

وفي هذه اللحظة تذكرت شيئاً ما ..

فتحت كفها .. فحلفت الفراشة في الهواء .. دارت دورة  
حولهما كأنما تشكرهما ثم ابتعدت ..

هنا فقط انفجرا بضحكان ..

القنبلة قد تحرق كل خلاياك لكنها لن تحرق روحك  
أبدًا .. هذا هو ما تعلماه الآن ..

\*\*\*

إنه أغسطس ...

لكن المرشد يظهر في أغسطس كما يظهر الذباب  
والبعوض .. وقد جاءهما من بعيد وقد بدا عليه أنه يستمتع  
بهذا كله .. قال لها :

- « حان الوقت يا فتاة .. هذه النهاية لا بأس بها .. »

نظرت له في غل وقالت :

- « تتركنى أحترق في هذا الكون .. ثم تظهر في اللحظة  
التي توشك فيها قصة حب أن تنضج .. »

- « لا بد من العودة .. لن تبقى هنا للأبد .. فقط أنت  
تعرفين أن ( متشيكو ) ستبقى مع ( توشيو ) حتى يموت ..  
وصدقيني لن تحبى هذا المشهد كثيراً .. »

كان الحافز قوياً .. نعم هى لن تتحمل المزيد من  
المصائب ..

نظرت لـ ( توشيو ) نظرة طويلة ذات معنى ، ثم ابتعدت  
مع المرشد ..

\*\*\*

في القصة القائمة تعيش ( عبير ) عالماً شديد التعقيد ،  
لا يمكنك فيه أن تلتهم البرتقالة قبل أن تعرف ما هو

البرتقال ؟ هل هو وهم ؟ هل نتخيل أننا نتذوقه ؟ ما جدوى  
أن تأكل أصلاً ؟ أليس من الأفضل أن تترك البرتقال تعيش  
حياة طبيعية بدلاً من أن تنتهي داخلك ؟

الخلاصة إنه عالم لا يناسب ذوى الضغط المرتفع أو  
مرضى المرارة ..

\*\*\*

تمت بحمد الله

### المصادر

★ Rober Jungh : Brighter Than a Thousand Suns.  
Harcourt, 1970.

★ فرناند جيجون : إني عائد من هيروشيما .. ترجمة  
جمال جمعة .. من الشرق والغرب ( ٢٠٨ ) .  
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر .. ١٩٦٧ .



روايات  
مصرية  
للحبيب

مغامرات ممتعة  
من أرض الخيال

فانتازيا

## حب في أغسطس



د. أحمد خالد توفيق

هناك قصص حب في كل فصول السنة .. لكننا  
اليوم نحكي لك عن قصة حب في ( أغسطس ) ..  
في عالم قرر كل ما فيه أن يكون قبيحاً أو سوقياً  
أو فظاً أو قاسياً أو متعجرفاً أو غامضاً ، فإن  
بعض الكلام عن الرومانسية لن يؤذي أحداً ..  
لماذا ( أغسطس ) بالذات ؟ .. لا .. ليس هذا نوعاً  
من أدب المناسبات .. إن القصة تبدأ كما يلي ..

القصة القادمة ..

فلاسفة في حسائي



الشعر في مصر ٢٥٠  
وما يعادلها بالدولار الأمريكي  
في مائتي الدول العربية والعالم